العدد العشرون ذو القعدة - ذو الحجة - محرم ١٤٠٠ هـ
أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر ١٩٧٩م

مجلة المسلم المعاصر



فصلية فكرية تعالج شؤون الحياة المعاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية

العدد العشرون ذو القعدة - ذو الحجة - محرم ١٤٠٠ هـ

أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر ١٩٧٩ م

صاحب الامتياز ورئيس التحرير المسئول

الدكتور جمال الدين عطية

● ص.ب : ١١٩٤٢٩ بيروت ● سعر النسخة : ٥٠٠ ق.ل.

● مؤقتاً: ص.ب : ٢٨٥٧ الكويت ● الاشتراك السنوي : ٢٠ ل.ل.

محتويات العدد

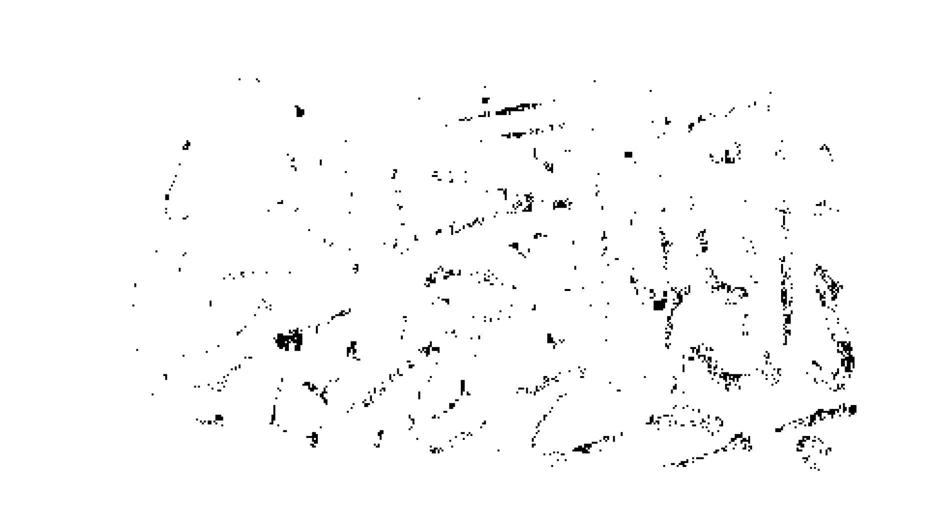
بحوث

رسائل

مؤتمرات

خدمات مكتبية

فهارس



كلمة التحرير

إرادة التغيير

منذ أربعة عشر قرناً أيقظت الرسالة الاسلامية موات القلوب فانطلقت طاقات المسلمين الأوائل تحدوهم « إرادة التغيير » وأنتجوا تراثاً فكرياً وفقهياً وعلمياً أقاموا به حضارة شامخة أصيلة ، ثم هبطت الهمم وخمدت الجذوة وجاء الخلف يجترون تراث السلف دون نظر أو اجتهاد أو تجديد . . .

وفي الثلاثينات من هذا القرن انطلقت جذوة الحركة الاسلامية المعاصرة من «إرادة التغيير» التي اشتعلت في قلوب فئة مؤمنة فأيقظت الهمم ونبّهت الأفكار وصقلت النفوس ، ثم طال الأمد فهبطت الهمم وخمدت الجذوة وإذا بالاسلاميين في السبعينات يعيشون بعقلية الثلاثينات والأربعينات يجترون تراثها دون نظر أو اجتهاد أو تجديد.

****

من بدهيات العمل الاسلامي أن التربية ليست أحد عناصر التكامل الاسلامي فحسب ، ولكنها الركن الاساسي للعمل الاسلامي ، فبدون تربية « الكوادر » لا يقوم التنظيم ولا تستقيم الحركة . . .

وقد وصل البعض الى حد اعتبار التربية الوسيلة الوحيدة لتغيير المجتمع من وضعه الراهن الى وضع يرضى عنه الاسلام . . .

واذا نظرنا الى واقع العمل الاسلامي المعاصر لنرى مدى حظ التربية من اهتمامه ، لراعتنا الفجوة العميقة التي تفصل الافكار والكلمات عن الحقيقة والواقع . . . .

وللتربية « داخل الحركة » حديث طويل لا تناسبه هذه العجالة . . لذا أقصر حديثي على التربية « داخل المجتمع » **بتخطيط** الحركة واشرافها . . .

ومن المشاهد في كافة بلدان العالم الاسلامي أن المدارس القائمة حكومية كانت أو غير حكومية انما تعكس الفلسفات والحضارات التي تتصارع رقعة العالم اليوم ، أو هي في الحقيقة **الإعداد** الطبيعي لاستمرارية وازدهار هذه الفلسفات والحضارات . . .

وتخدم مدارس العالم الاسلامي ـ نتيجة لذلك ـ تيارات المادية و**الإلحاد** والتبشير والرأسمالية والشيوعية والاشتراكية ، كما تخدم القوميات العامة كالعربية ، أو المحدودة كالفرعونية ، وكما تخدم النعرات والعصبيات المحلية كالكويتية والسعودية وهكذا . . . .

وتخلو الساحة ـ تقريباً ـ من المدارس التي تخدم مفهوم الاسلام الحضاري المتكامل والانتماء الاسلامي الذي يعلو على القوميات والعصبيات . . .

وأقول ـ تقريباً ـ حتى أخص بالاشارة بعض المحاولات الحكومية والخاصة :

أما المحاولات الحكومية فمتمثلة في المعاهد الدينية والجامعات الاسلامية التي هي أقرب الى خدمة المفهوم القاصر للاسلام منها الى خدمة مفهومه المتكامل الشامل . . .

وأما المحاولات الخاصة فمتمثلة في بعض المدارس التي وان صدقت نية مؤسسيها الا أن وسائلهم المادية وتصورهم للاهداف والوسائل قد أخرجت

نماذج مشوهة أقرب الى مدارس الايتام منها الى مصانع أجيال المستقبل بكل أبعاده وتحدياته . . .

وتظل الحركة الاسلامية في موقف المتفرج من هذا الواقع المذهل الذي يشعر الجميع بخطورته حتى في خاصة أبنائهم وبناتهم . . .

وتظل الحركة الاسلامية قانعة بدورها التقليدي في اصطياد بعض العناصر من مدارس « الغير » وتعديلهم وفقا لمنهجها التربوي بدلا من أن تقوم بتخريج أفواج وأجيال من مدارسها « هي » .

ولا يقوم العجز المادي عذراً لأن المشاهد أن المدارس الخاصة « الاخرى » مشروعات مربحة مادياً فضلاً عن نجاحها في أداء رسالتها . . .

وفي رأيي أن سبب هذا الموقف هو العجز في التصور والاضطراب في ترتيب الاولويات . . . فالى متى ؟؟؟

****

وحدة الحركة الاسلامية على المستوى العالمي ضرورة حتمية مصيرية لا يكاد يماري فيها أحد . . . وانما تبدأ المماحكات في مسائل جانبية تنتهي الى التجميد الكامل للهدف الكبير . . .

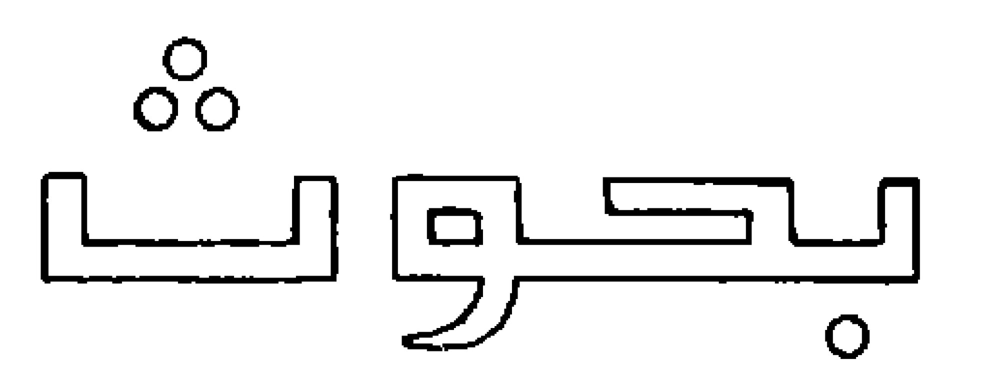
(وأقصر حديثي هنا على الحركات الشعبية ؛ أما الانشطة الحكومية فمعظمها يسعى الى توحيد العمل الاسلامي الشعبي لاستيعابه وتوجيهه في اطار مفهوم « الاسلام الحكومي » كما أشرنا الى ذلك في كلمة سابقة) .

وتلعب الأنانيات الوطنية والشخصية دوراً خطيراً في هذا المضمار . . . هذا التنظيم له سابقة الدعوة والتضحية ، وهذا له فضل الخبرة والتجربة وذاك عنده فائض المال أو نضج الفكرة ، أو حنكة القيادة . . . الى آخر قائمة المزايا التي يتمتع بها كل تنظيم . . . والتي بدلا من أن تصب في عمل جماعي متكامل الطاقات منسق الخطوات ، اذا بها تبرر لاصحابها المطالبة بالانفراد بالقيادة أو

عدم الالتزام بها أو التأثير عليها بصورة أو بأخرى . . . وتضيع في خضم المناقشات حقيقة بسيطة هي أن العمل الجماعي يقتضي قيادة جماعية تذوب فيها القيادات المحلية وتنبثق منها الخطط والقرارات للتنفيذ ، لا التوصيات والشعارات والخطب والمجاملات .

الى متى نقدم الانانية على المصلحة العامة ونحكم الهوى في العقل ونغفل عن قضايانا المصيرية في الوقت الذي يطور فيه « الآخرون » تنظيماتهم وخططهم وأساليبهم فنتخلّف ويتقدمون وننهزم وينتصرون ؟؟؟

جمال الدين عطية



الإسلام والفكر الوجودي المعاصر

د . أبو الوفا الغنيمي التفتازاني

---

١ ـ يشكو كثير من الناس من أن القيم السائدة في مجتمعاتنا المعاصرة أخذت تهتز ، وهـذا راجع في الحقيقة إلى طبيعة العصر ، فإنه عصر صراع فكري وعقيدي حادّ ؛ وخصوصاً حول قضايا المجتمع الاقتصادية والسياسية والثقافية .

وفي مثل هذا الجو من الصراع الفكري يشعر المواطن في العالم العربي والإسلامي بحاجة ملحة إلى فهم ثقافات عصره على اختلافها وتحديد موقف الإسلام منها حتى لا يفقد ذاتيته ، خصوصاً وأنه يحس من أعماق نفسه أنه ينتمي إلى حضارة أصيلة كان لها أكبر الأثر في تقدم البشرية ، وأنه إذا كان قد تخلف عن الركب بعض الوقت فإنه قادر على المضي قُدُماً إلى الأمام ليلحق بمن سبقوه على الطريق .

على أنه لا يريد في هذا اللحاق أن يقلد تقليداً أعمى ، وإنما يريد أن يحافظ على استقلاليته الفكرية ، وقد يتفتح على كل الآراء والمذاهب المعاصرة ، ولكنْ يلزمه ضرورة التمييز بين النافع منها والضار ، وتنمية قدرته دائماً على الابتكار ، فليس كل ما تنتجه المجتمعات في الشرق أو الغرب صالحاً بالضرورة لمجتمعه ، وملبياً احتياجاته الفكرية والروحية ، ومحققاً تقدمه الحقيقي لا الوهمي .

وقد أدت سهولة الاتصال بين شعوب العالم في عصرنا إلى غزو فكري لمجتمعاتنا فوفدت إليها فلسفات شتى ، منها ما يؤمن بالتفسير المادي للوجود ، فليس ثمة إلا المادة وقوانين تطورها ، وما العقل الإنساني إلا أسمى نتاج للمادة ، والعالم لم يوجد إلا اتفاقاً أو مصادفة ؛ ومنها ما يبدأ سيره من إيمان لا حد له بمنهج العلم التجريبي بحيث يجعل معيار الحقيقة التجربة الحسية وحدها ، ومن ثم لا مجال للفكر الذي يحاول تجاوز عالم الحس إلى ما وراءه . ومنها ما يؤكد على أن معيار الحق هو المنفعة ، بمعنى أن الفكرة فيها من الصواب بقدر ما تحقق من نفع عملي في واقع الحياة .

وهناك فلسفات أخرى من فلسفات العصر في أوروبا تنطلق من القول بأن حياة الإنسان لا معنى لها ولا هدف منها إلا الإلحاد . ويرى بعضها وجود الإنسان مجرد مأساة وأمراً غير مفهوم ويرى بعضها حرية الإنسان باطلاق في تحقيق ماهيته إذ لا إله يخلق وفق ماهية سابقة ، ولذلك يكون الوجود سابقاً على الماهية ، ومآل الإنسان إلى العدم ، فلا بعث ولا ثواب ولا عقاب . ويرى بعضها الآخر ، عدم الإيمان بأي قيمة أخلاقية أو حقيقة مؤكدة ، ويتجه أصحابها بعنف إلى الهدم ، فتوصف فلسفاتهم بوصف العدمية . وجميع هذه الفلسفات الأخيرة في رأينا عبثية من حيث أنها ترى الوجود الإنساني مجرد عبث ، وتشاؤمية الطابع . . ومن أسف أنها شاعت شيوعاً غير عادي عن طريق الكتابات الأدبية والمسرحية المعاصرة في أوروبا ، وهي كفيلة في رأينا بالقضاء على أعظم ما أنتجته البشرية من حضارة لأنها تقتل في الإنسان طموحه ولا تجعل له هدفاً يسعى إليه .

٢ ـ وتتناول هذه المحاضرة الفلسفة الوجودية المعاصرة ، وهي تنتمي إلى هذه المجموعة الأخيرة من الفلسفات العبثية ، وذلك من وجهة نظر نقدية إسلامية ، ولنبدأ أولاً بالتعريف بهذه الفلسفة :

الفلسفة الوجودية المعاصرة ثورةعارمة ضد الفلسفات العقلية التقليدية ، ويرى الوجوديون أن الفلسفة حين شغلت نفسها بالبحث في الوجود المطلق ،

أو بالبحث في المعرفة والعلاقة بين الذات العارفة وموضوع المعرفة ، فقدت موضوعها الرئيسي وهو البحث في الإنسان الواقعي المشخص .

وليست الفلسفة الوجودية في الحقيقة فلسفة واحدة وإنما هي عدة فلسفات تتفق على مبادئ عامة وتختلف في التفاصيل ، ويمكن وصفها بوجه عام بأنها نوع من الفلسفات الذاتية يهدف إلى الكشف عن الإنسان ذاته من حيث أن له وجوداً خاصاً به يعانيه معاناة مباشرة ، ويرتبط بزمانه ومكانه وظروفه وأحواله ، أو بعبارة أخرى الكشف عن الإنسان باعتباره « تجربة حية » .

ولعل محن الحربين العالميتين في النصف الأول من هذا القرن كانت عاملاً أساسياً في شيوع هذا اللون من المذاهب الوجودية في أوروبا ، وعلى الأخص في فرنسا ، وجعلت أصحابها يندفعون بقوة إلى اكتشاف معنى جديد للحياة الإنسانية وإلى اعادة النظر في مواقف الإنسان من ذاته ومن الوجود الخارجي مع اطراح كل قوالب فكرية موضوعة جانباً والاعتماد على منهج يسمى بمنهج الظواهر يعنى بوصف الوقائع الفكرية على نحو ما نحياها في صميم شعورنا ، وصاحب ذلك عندهم هز عنيف للقيم السائدة .

وقد اطلق على الفلسفة الوجودية هذا الاسم لأنها خلافاً للفلسفات السابقة ترى أن وجود الإنسان سابق على ماهيته ، بعبارة أخرى ترى أن الإنسان لا يأتي إلى هذا العالم بناء على مثال سابق ، ويتفق الوجوديون على ذلك منذ أيام كيركجارد (Kierkegard) المتوفى سنة ١٨٥٥ م والذي يعتبر أباً لهم .

ولم تخل مذاهب الوجوديين من أن تتلون أحياناً بلون التشاؤم وأحيانا أخرى بلون التفاؤل ، وإذا كان بعضهم مثل هيدجر (Heidegger) وسارتر (Sartre) قد تصورا الإنسان في عزلة تامة بلا معين ، فإن ثمة آخرين منهم طبعوا مذهبهم بطابع الإيمان والتفاؤل فوضعوا الانسان في علاقة مباشرة مع الله مثل « كيركجارد » و « يسبرز » و « مارسيل » .

وقد تحددت معالم الفلسفة الوجودية في العصر الحاضر بظهور كتابين

أحدهما وضعه الفيلسوف الوجودي الألماني مارتن هيدجر عام ١٩٢٧ م وعنوانه « الوجود والزمان » وثانيهما وضعه الفيلسوف الوجودي الفرنسي جان پول سارتر عام ١٩٤٣ م عن « الوجود والعدم » ، وبهذين الكتابين وسيل المؤلفات التي جرت مجراهما انتقلت الفلسفة من ميدان دراسة الوجود المجرد إلى دراسة الإنسان الواقعي في حياته اليومية من ناحية ، وفي علاقته بالآخرين من ناحية أخرى .

ويعمد كثير من الوجوديين في عصرنا إلى التعبير عن آرائهم الفلسفية من خلال الكتابات الأدبية والمسرحية ، وأدى ذلك إلى ذيوع تلك الآراء ذيوعاً غير عادي .

٣ ـ وحسبنا أن نقف الآن عند آراء أبرز الفلاسفة الوجوديين المعاصرين في فرنسا، وأكثرهم ضجيجاً ،وأعني بهالفيلسوف جان پول سارتر (١٩٠٤م ٠٠٠) لنرى كيف يتصور وجود الانسان ، وحريته وسلوكه ، وموقفه من الآخرين ، وهو يمثل الوجودية الإلحادية ذات الطابع التشاؤمي ، ثم نبين موقف الاسلام من آرائه حول هذه المسائل :

يفرق سارتر بين ثلاثة أشكال من الوجود :

١ ـ الوجود الواقعي ويعني به الوجود الكائن بالفعل ، ووجوده موضوعي وثابت وإن شئت قلت : هو وجود أي موضوع مادي كثيف متجانس ممتلئ . والمصطلح الفلسفي الذي يعبر به عن هذا الوجود هو : **الوجود في ذاته** .

٢ ـ وجود الإنسان ويعني به ما وجوده متحرك متغير زماني ، وهو وجود ينزع نحو المستقبل هارباً من الماضي ، وهو مفارق لذاته دائما ، وهو وجود حائر ، بل هو وجود يحمل العدم في صميمه ، ويسميه سارتر اصطلاحا : **الوجود لذاته**

٣ ـ وجود الإنسان حين يكون موضوعاً بالنسبة للغير ، أو بعبارة أخرى

وجود الإنسان حينما يحيله الآخرون إلى « موضوع » ، ويطلق سارتر عليه اصطلاحا : **الوجود للغير** .

والوجود الأول عند سارتر ، وهو الوجود الواقعي ، يمكن لنا أن نحدد ماهيته (ماهية الشيء عند الفلاسفة القائلين بالماهية هي مجموع الصفات التي بدونها لا يمكن تصوره كقولنا الإنسان حيوان ناطق أو المثلث سطح مستو محاط بثلاثة خطوط مستقيمة متقاطعة) وذلك لأن ماهيته سابقة لوجوده : فالبذرة مثلا تنطوي على إمكانيات الشجرة .

أما الوجود الثاني فهو في رأي سارتر ، بل وفي رأي الوجوديين جميعاً كما ذكرنا من قبل ، ماهيته لاحقة على وجوده ، وهو وجود الإنسان ، ومن ثم لا بد له من أن يعثر لنفسه على ماهيته ، ووجوده عبارة عن تحول مستمر يكون الإنسان خالقاً فيه لذاته باستمرار . وما دام ليس هناك ما يعين له سلوكه فالإنسان حر في أن يفسر الأشياء كما يشاء ، وهو محكوم عليه في كل لحظة أن يخترع الإنسان فما الإنسان إلا ما يصيغ نفسه ، وما يريد نفسه ؛ وما يتصور نفسه بعد الوجود . فالوجود الإنساني إذن هو اختيارنا الحر لماهيتنا أو الشخصية التي نريد أن نكون عليها .

وهذا الوجود الإنساني يتميز بأنه يعاني القلق ، وهو آت من أن الإنسان قد قذف به في هذا العالم دون أن يدري لذلك سببا ، وهو شعور مبعثه ضرورة اختيار الإنسان في الوقت الذي ليس فيه معيار سابق للاختيار ، وفي الوقت الذي لا يعرف فيه أيضاً هل أساء اختياره أو أحسنه . فالإنسان محكوم عليه دائما بالاختيار ، وهذا هو مبعث قلقه وهو قلق مؤلم . وتتمثل حرية الإنسان في أنه حينما يكون بصدد اختيار موقف فعليه أن يختار بين عدة مواقف ، فهو الذي يحدد ماهيته بهذا الاختيار الحر ، ومن هنا فإن الوجود الإنساني عند « سارتر » مرادف للحرية ، وهو أيضا مرادف للقلق إلى الحد الذي جعل « سارتر » يقول « نحن قلق » (الوجود والعدم : ص ٨١)

وتتميز حرية سارتر بعد ذلك بأمرين :

الأمر الأول : أن هذه الحرية ضرورية بمعنى أن الإنسان عنده ليس حراً في أن يتخلى عن حريته ، وهذا يفسر لنا لماذا يهرب الانسـان أحياناً من حريته إلى العمل وفق ماهية ثابتة سابقة ، وهو بهذا يخفف من قلقه المؤلم ، ولذلك عنده صور؛ منها أن يخضع نفسه لقوانين جازمة أو للعرف أو للطبيعة أو لله ،وهذه كلها عنده أساليب قاضية على حرية الإنسان الذي هو خالق معاييره وقيمه ، ويقول « سارتر » حول هذا المعنى الأخير ما نصه :

« ويترتب على ذلك أن حريتي هي الأساس الوحيد للقيم ، وليس ثمة شيء مطلقاً يمكنه أن يلزمني باصطناع هذه القيمة أو تلك (**الوجود والعدم ص ٧٦**)

والأمر الثاني الذي يميز حرية سارتر أنها ذات طابع ذاتي بحت ليس إلى إنكاره من سبيل . ذلك أن الاختيار عند سارتر لا ينفصل عن شعورنا بذواتنا ، فليس هناك شيء في الخارج يمكنه أن يحدد لي اتجاه ذلك الشعور ، ويبالغ « سارتر » إلى الحد الذي يقرر فيه أننا نحن الذين نخلق العالم وبخلقه نخلق ذواتنا !

بل إن سارتر يمعن إمعاناً في إطلاق الحرية فيقول إنها ليست سوى إرادتنا وأهوائنا (الوجود والعدم ، ص ٥٢٠) .

وبهذا يكون سارتر ممعناً في الذاتية ، ما دام اختياره مردوداً إلى الشعور وحده ، وهو مطلق ، والحرية بهذا مطلقة ، وقبل الاختيار ليست هناك قيم ملزمة ، والحرية بهذا تصبح فوق كل تفسير أو مبرر عقلي ، ما دامت هي التي تخلق القيم والمعايير .

ويرتب « سارتر » على فكرته في الحرية فكرته عن المسؤولية ، فلما كان الإنسان هو خالق القيم فهو لا يخلقها من أجل ذاته وإنما من أجل المجموع . فالإنسان بهذا يشرع للإنسانية بأسرها ، ومن ثمة شعوره بالمسؤولية الكلية ، فالإنسانية تنظر إليه ! وعندئذ يتساءل الإنسان هل أنا الموجود الذي يمكن أن

يكون قدوة للبشرية ؟ ويحمل « سارتر » نفسه بناء على هذا التصور كل شيء بما في ذلك الحرب التي اشترك فيها كأنه أعلنها قائلا : « إنني مسؤول من الأعماق عن الحرب كما لو كنت أنا الذي أعلنتها » (الوجود والعدم ، ص ٦٤١) .

ونأتي الآن إلى الوجود الثالث عند سارتر وهو الوجود للغير لنراه يتصور علاقة الإنسان بالغير تصوراً قاتماً للغاية ، فجوهر العلاقات بين الإنسان والغير عنده صراع ، والذات تسعى إلى استعباد غيرها من الذوات . والحب ليس إلا امتلاكا للآخر بحيث تسيطر حريتي على حريته ، وينتهي سارتر إلى نتيجة غريبة وهي أننا لا يجوز لنا أن نتحدث عن حب أو تضافر أو تعاون ما دام « الآخرون هم الجحيم » على حد تعبيره وأن الخطيئة الأولى للإنسان أنه ظهر في عالم يوجد فيه « الآخرون » .

٤ ـ هذه هي الخطوط العامة لفلسفة « سارتر » عرضناها ، عرضاً موجزاً وبقي أن نناقشه فيما ذهب إليه مبينين موقف الإسلام منه :

(أ) نلاحظ أن « سارتر » يركز على وجود الفرد ، وينكر أوجه الشبه الجامعة للنوع البشري ، وهي أوجه شبه مقررة ومعروفة ، ولو كان الوجود سابقاً على الماهية كما يقول لما كان هناك خصائص مشتركة تجمع أفراد الإنسان ، ويضاف إلى ذلك أن « سارتر » يجعل من حياتنا ضياعاً وعبثاً ويصف الإنسان بأنه عاطفة لا فائدة منها (الوجود والعدم ، ص ٧٠٨) ، وهذا من شأنه أن يدفع الإنسان دفعاً إلى اليأس والتشاؤم .

وعلى العكس من ذلك نجد الإسلام يقرر أن الإنسان خلق على مثال سابق ، فالماهية إذن سابقة على الوجود ، يقول تعالى ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين : ٤] ، وينظر إلى الإنسان نظرة أساسها التكريم ، يقول تعالى : ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ [الإسراء : ٧] ويقول تعالى مشيراً إلى خلق الإنسان : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة :٣٠]

هذا ونظرة « سارتر » إلى الوجود الواقعي لا تخلو من سطحية ، فالوجود في

ذاته ليس له بعد تطور البحوث الطبيعية على يد اينشتين تلك الصفات التي خلعها « سارتر » عليه من أنه فار أو ثابت . كذلك فإن الوجود شيء معطى وليس العالم هو ما أخلقه أنا أو ما أريده أنا ، بل إن العالم سابق على وجودي ، وهذه كلها أمور تحكم بها الفطرة السليمة .

ووجود النوع الإنساني ليس بلا هدف أو غاية ، بل هناك نوع من الغاية نلاحظه في الوجود . وهو أمر تؤيده المشاهدات العلمية التجريبية ، وإلا فمن أين تأتي ملاءمة العالم لوجود النوع الإنساني ، وما أعمق المعنى في قول الله تعالى : ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ [المؤمنون : ١١٥] وقوله تعالى : ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ [القيامة : ٣٦] .

ولما كان العالم ـ بما فيه الإنسان ـ محكوماً بقوانين طبيعية هي موضوع العلم الطبيعي ، فلا مجال للفصل التام بين وجود الإنسان والوجود الخارجي ، فمن الواضح أن الإنسان لا يعيش في فراغ وإنما يعيش في العالم .

وللإنسان أن يزعم لنفسه أنه حر في أن يخلع ما يشاء من تصوراته على العالم الخارجي وأحداثه ، أو أن يزعم لنفسه الحرية في تفسير المواقف ، ولكن هذا لن يغير من واقع الأشياء شيئا . فالثنائية التي تفصل بين الإنسان وما حوله يحكم بها الذهن القاصر فقط ، إذ أن الإنسان يتفاعل دائما مع البيئة ، ويتأثر بما يجري في العالم من وقائع وأحداث .

(ب) وكذلك فنحن لا نقر « سارتر » على ما يذهب إليه من قوله بالحرية المطلقة ، واستقلالها عن عالم الأشياء ، فمن الواضح أن الإنسان ليس حراً باطلاق، وإرادته ليست خارقة للعادة ، وإنما هي إرادة محدودة ، وبنوع من الاستيطان الذاتي يستطيع الإنسان أن يدرك قيمة المؤثرات الخارجية في توجيه مجرى سلوكه توجيهاً ضرورياً بل إن الإنسان بارادته هو يحد من حريته ، وكذلك فإن قيم الأسرة التي ينشأ فيها الإنسان أو قيم المجتمع الذي يعيش فيه لها من الفاعلية المباشرة أوغير المباشرة في سلوك الإنسان ما لا يمكن أن ينكر أو

يقلل من أهميته . إن اصطدام حريتي بالواقع الخارجي ، وإحساسي بذلك في كثير من الأحيان ينهض دليلا على أن حريتي محدودة ، وكل ما تستطيعه أنها تكافح في سبيل تحقيق أماني ، فهي إذن ليست مطلقة .

ولقد نبهنا القرآن الكريم إلى حقيقة الإنسان من هذه الناحية فهو كائن ضعيف من حيث أن إرادته محدودة تقوى على أشياء ولا تقوى على أشياء أخرى ، يقول تعالى : ﴿وخُلق الإنسان ضعيفا﴾ [النساء : ٢٨] ، بل إن الإنسان لا يكون على نفس المستوى من القوة في مراحل حياته كلها ، فالأصل فيه الضعف ثم تمده قوة خارجة عنه هي القوة التي خلقته ، بقوة عارضة ، ثم يعود إلى حالة الضعف الأولى ، وهذا أمر يحكم به العقل كما تحكم به المشاهدة ، وهو المشار إليه في قوله تعالى :﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوةضعفاً وشيبة يخلق مايشاء وهو العليم القدير﴾ [الروم : ٥٤] .

وكذلك فإن القرآن الكريم ينبهنا إلى أن للإنسان إرادة ، ولكن إرادته هذه إرادة محدودة ، وإذا كانت هناك في القران آيات توحي بأن الإنسان مختار مثل قوله تعالى : ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف : ٢٩] وقوله تعالى : ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ [المدثر : ٣٨] ، فإن هناك آيات أخرى توحي بأن الإنسان خاضع دائما لقوة أعلى ، نحو قوله تعالى : ﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ [الإنسان : ٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ [الكهف : ٢٣ - ٢٤] . وليس ثمة تعارض بين النصوص التي توحي بالاختيار والنصوص التي توحي بالجبر ، فكل مجموعة منها تعبر عن جانب واحد من جوانب علاقة الإنسان بربه ، فالإنسان مجبور إذا نظرنا إليه في الوجود الأعم الخاضع لقوانين صارمة ، ومختار إذا نظرنا إليه في نطاق وجوده الخاص الذي تمتد اليه قدرته واستطاعته ، وحقيقة الإنسان مجموع الأمرين معا ، أو إن شئت توضيحاً : دائرة حريته داخلة في دائرة أكبر هي دائرة القدر ، وقد عبر ابن عطاء الله

السكندري عن هذا المعنى في « الحكم » بقوله : «سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار» .

ولم يكن حل مشكلة الحرية على أساس من منهج الظواهر أمراً قاصراً على الوجوديين ، فنحن نلاحظ أن بعض المتكلمين في الإسلام قد فطنوا إلى هذا المنهج ، وكانوا يلجأون في حل مشكلة الجبر والإختيار إلى نوع من التحليل العميق لما يشعر به الإنسان محاولين حصر الظواهر الكائنة في الشعور للوصول الى نتيجة في المشكلة يمكن الاطمئنان إلى صدقها ، ومن هؤلاء الإمام أبو الحسن الأشعري فيقول الشهرستاني ناقلاً عنه : « قال (الأشعري) : والعبد قادر على أفعاله إذ الإنسان يجد من نفسه تفرقة ضرورية بين حركات الرعدة والرعشة ، وبين حركات الاختيار والإرادة » (الملل والنحل بها مش الفصل لابن حزم ، ج ٣ ، ص ١٢٤)

فالإنسان بحسب ما يقرر الأشعري لا يستطيع أن يغفل من نفسه ما يشعر به من إرادة وقدرة على الأعمال الاختيارية (أو اختيار المواقف كما يقول سارتر) ولكنه في نفس الوقت يحس أن ثمة أفعالا يجبر عليها كالرعدة والرعشة الاضطرارية المصاحبة للمرض أحيانا . وهذه النتيجة التي توصل إليها الأشعري من أنه ليس هناك جبرية كما أنه ليس هناك اختيار مطلق هي كما نرى نتيجة وصف ما يتبدى من ظواهر نفسية في الشعور الإنساني .

والأشعري فيما يقرره في هذا الصدد أكثر واقعية من « سارتر » لأنه لا يمضي مع فرض الحرية إلى النهاية بدون حدود كما يفعل « سارتر » ، خصوصا وان موقف « سارتر » تأدى به في النهاية إلى وصف حريته بأنها نوع من الضرورة فبدا كلامه في طابع « لاعقلي » فعند الفيلسوف الفرنسي المعاصر أن الإنسان ليس في مقدوره ألا يكون حرا . إن الانسان في رأيه قد قضي عليه بالحرية ، كيف ؟ لا ندري . . وإليك ما يقوله سارتر في هذا الصدد :

« والنتيجة الضرورية لملاحظاتنا السابقة هي أن الإنسان محكوم عليه بأن

يكون حراً . . . الخ » (الوجود والعدم ، ص ٦٣٨) ، وهو يقول ايضا : « لقد حكم علي دائما أن أوجد فيما وراء ماهيتي ، وأيضا فيما وراء دوافع وبواعث فعلي ، انه قد قضي علي أن أكون حرا ، وهذا يدل على أنه ليس من الممكن أن يوجد لحريتي من حدود سوى وجودها ذاته أو إذا شئت قلت : إننا لسنا أحراراً في أن نتخلى عن كوننا أحرارا » (الوجود والعدم ، ص ٥١٥) .

أليست حرية « سارتر » هذه نوعاً من العبودية يئن الإنسان تحت وطأتها ؟

ج ـ يضاف إلى ما تقدم أن « سارتر » متناقض مع نفسه حين يقول بالحرية المطلقة ثم حين يجعل القلق ملازماً لها ، فلو كان اختيار الإنسان اختياراً حراً تماماً لا يقيده شيء ففيم إذن القلق ؟ .

وما دام سارتر يقرر أن الإنسان هو خالق ذاته وخالق معاييره ، وهو يبرر لنفسه بحريته كل اختيار ممكن ، ففيم يخشى إذن إساءة الاختيار ، ولماذا يقع فريسة للقلق ؟ وكذلك لماذا يفترض أن ما اختاره لنفسه من موقف سيكون دائما وأبداً موضع اهتمام الآخرين ؟ .

إن القلق على اختلاف صوره لا يكون في رأينا إلا نتيجة شعور بالانحراف عن قيم معينة يراها الإنسان محققة لإنسانيته ، فحياة الإنسان في حقيقتها صراع مستمر بين ميوله وعواطفه ونزواته ، وبين مبادئ الاخلاق أو الأوضاع الاجتماعية ، وهذا هو مبعث كل قلق ، « فسارتر » في فلسفته يبدو وكأنه تائه في زحمة القيم المحيطة به ، ولما كان قد أراد لنفسه عدم التقيد بهذه القيم فإنه قد أحس بالقلق .

وقد عالج الإسلام ما يحس به الإنسان الحائر من قلق ، وبين لنا أن جهاد النفس هو العلاج الحاسم له ، فالنفس بطبيعتها تميل إلى تحقيق نزواتها وشهواتها ، وهي تأمر الإنسان بالإقدام على هذا التحقيق ، يقول تعالى : ﴿إن النفس لأمَّارة بالسوء﴾ [يوسف : ٥٣] وحثها على الجهاد في مثل قوله :

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإنَ اللـه لمع المحسنين﴾[العنكبـوت : ٦٩] ، ويقول تعـالى : ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات : ٤٠]

د ـ ومما نعجب لصدوره عن « سارتر » قوله بالمسؤولية الكلية الشاملة التي تجعل من الإنسان مسؤولا عن العالم كله أو على حد تعبيره هو تجعله يحمـل العالم على كتفيه (الوجود والعدم ، ص ٦٣٨) ، فهذا التصور للمسـؤولية نوع من تأنيب الضمير لا مبرر له ، فأنا مسؤول أمام ضميري أو أمام الناس أو أمام الله ولا شيء غير ذلك ومسؤوليتي على قدر عملي الـذي يتمثـل في هذه الواقعة الجزئية أو تلك ، فمسـؤولية سارتـر التـي ينـادي بهـا مسـؤولية « لا معقولة » في الحقيقة .

ومن البديهي أن هذا التصور للمسؤولية مناف لما ورد في القرآن الكريم ، وحسبنا على ذلك الشواهد التالية :

قال تعالى : ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون﴾ [البقرة : ١٣٤] ، وقال تعالى ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ [النجم : ٣٦] وقال تعـالى : ﴿ومـا تجـزون إلا ما كنتـم تعملـون﴾ [الصافات : ٣٩] وقال تعالى : ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [فاطر : ١٨]

٥ ـ بقيت كلمة أخيرة ، وهي أنه إذا كانت الوجودية بوجه عام تدعو إلى أن يطرح الإنسان المذاهب النظرية القائمة على أساس من التجريد المنطقي وحده وإلى أن يحيا ـ بدلاً من ذلك ـ آراءه ويعانيها معاناة مباشرة ، فإن تاريخ الفكر الاسلامي يظهرنا على مفكرين دعـوا بإخـلاص إلى ضرورة الممارسـة العملية لأحكام الإسلام والمعاناة المباشرة لقيمه الـروحية ، وحسبنـا شاهداً على ذلك الإمام الغزالي ، الذي نقد مذاهب المتكلمين والفلاسفة من حيث إنها مذاهب نظرية جامدة تصرف الإنسان عن التجربة الدينية الحية. وقد عانى الغزالي ما عاناه الوجوديون من قلق ولكنه لم يجعل القلق الوجود الحقيقي أو الحرية الحقيقية

كما يذهب إلى ذلك « ساوتر » وإنما اعتبره مرحلة يجب تجاوزها إلى الإيمان بالله والصلة المباشرة .

وفي رأي الغزالي ومن اقتدى به من الصوفية السنيين المتقيدين بالكتاب والسنَّة أن الانسان لا يكون حراً بالمعنى الحقيقي للحرية إلا إذا ارتفع فوق شهواته وأهوائه بارادته . أي بفعل حر ، وهم يعيبون على الإنسان تمزقه الروحي بين اللذة والألم . فنحن في العادة نفرح حين تقبل علينا الدنيا بأسبابها ، وقد يحدث أن تزول عنا هذه الأسباب على الرغم منا فنألم لذلك أشد الألم ، وتصبح حياتنا بين تعاقب الفرح والألم عذاباً نفسياً لا يطاق ، ولو سكن الإنسان منا وثبت ، فلم يشتد فرحه بما يقبل عليه من أسباب الدنيا ، وخضع لحكم وقته ، لم يحزن قط لوجود زوالها عنه ، وهذا هو المعنى المشار اليه في قوله تعالى : ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ [الحديد : ٢٣]

وبهذا يصبح الإنسان حراً بالمعنى الحقيقي للحرية ، فيتقبل الشدائد ويتمكن من الوقوف على قدميه في معترك الحياة مكافحاً كفاح الشجاع الواثق بنفسه وبالله .

وقد أجاد ابن عطاء الله السكندري في التعبير عن هذا المعنى من معاني الحرية ، فقال ناصحاً مريده : « « ينبغي لك أن لا تيأس على فقد شيء ، وأن لا تركن إلى وجود شيء ، فإن من وجد شيئا فركن إليه ، أو فقد شيئاً فحزن عليه ، فقد أثبت عبوديته لذلك الشيء الذي أفرحه وجوده وأحزنه فقده »

وهو يقول لمريده أيضا : « متى كنت إذا أعطيت بسطك العطاء ، وإذا منعت قبضك المنع ، فاستدل بذلك على وجود طفوليتك وعدم صدقك في عبوديتك » .

ومن أجمل ما يعبر به أيضاً عن هذا المعنى أيضاً قوله : « لتقبل ما تفرح به تقبل ما تحزن عليه » .

وهذا المعنى من معاني الحرية إيجابي لا سلبي ، ويضفي على حياة الإنسان معنى سامياً لأنه يجعل الإنسان ثابتاً في معترك الحياة وغير خاضع للتمني أو أحلام اليقظة ، بل عليه أن يعمل إذا أراد أن يحقق أمانيه ويخرجها إلى حيز الوجود الفعلي ، وإلى هذا المعنى يشير ابن عطاء الله السكندري بقوله : « الرضاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية » .

وإذا وصل الإنسان الى هذا المستوى من الحرية فقد نعم بالاستقرار النفسي وتخلص بذلك من كل قلق . ولعلك بعد هذا تدرك عمق المعنى في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «تَعِسَ عبد الدينار والدرهم » . فأنت حر في أن تملك الدينار والدرهم ، ولكن لا تكن لهما عبدا ، أي لا تكن عبداً لشهوة امتلاكهما .

يتبين لك مما تقدم أن الحرية الجديرة بالإنسان ليست حرية سارتر التي تصلح منطلقا لانحراف الإنسان ، طالما كان هذا الإنسان هو الذي يخترع نفسه ومعاييره وقيمه ، وطالما لا يكون ثمة ما يعين سلوكه أو ما يحد من حريته ، وإنما الحرية الحقيقيةهي حرية الإسلام التي تتمثل أولاً في أن للإنسان قدرته على الاختيار ، وهو أمر يشعر به ضرورة ، ولكنه ليس قادراً بإطلاق لأنه يحس من نفسه ذلك أيضا ، وتتمثل ثانياً في أن يرتفع الإنسان بنفسه فوق شهواته ونزواته التي يكون عبداً لها .

وفي رأينا أن ذلك الإنسان الذي يوهم نفسه أنه حر باطلاق ، وأن حريته مصدر كل قيمة ، سرعان ما يتخلى عن مسؤولياته وواجباته تجاه الآخرين ، ويندفع بسرعة الى هوة الشهوات ، أو هوة الجبر المتمثل في الخضوع لها تماما ، والتي لا يرجى له منها خروج .

والإنسان من بين سائر الكائنات هو القادر على أن يرتفع بنفسه إلى بدعة عالية من السمو الروحي ، وهو القادر في نفس الوقت على أن يهبط بنفسه إلى أسفل سافلين ، وهو مسؤول في الحالتين عما يصنع من نفسه أمام الله ثم أمام

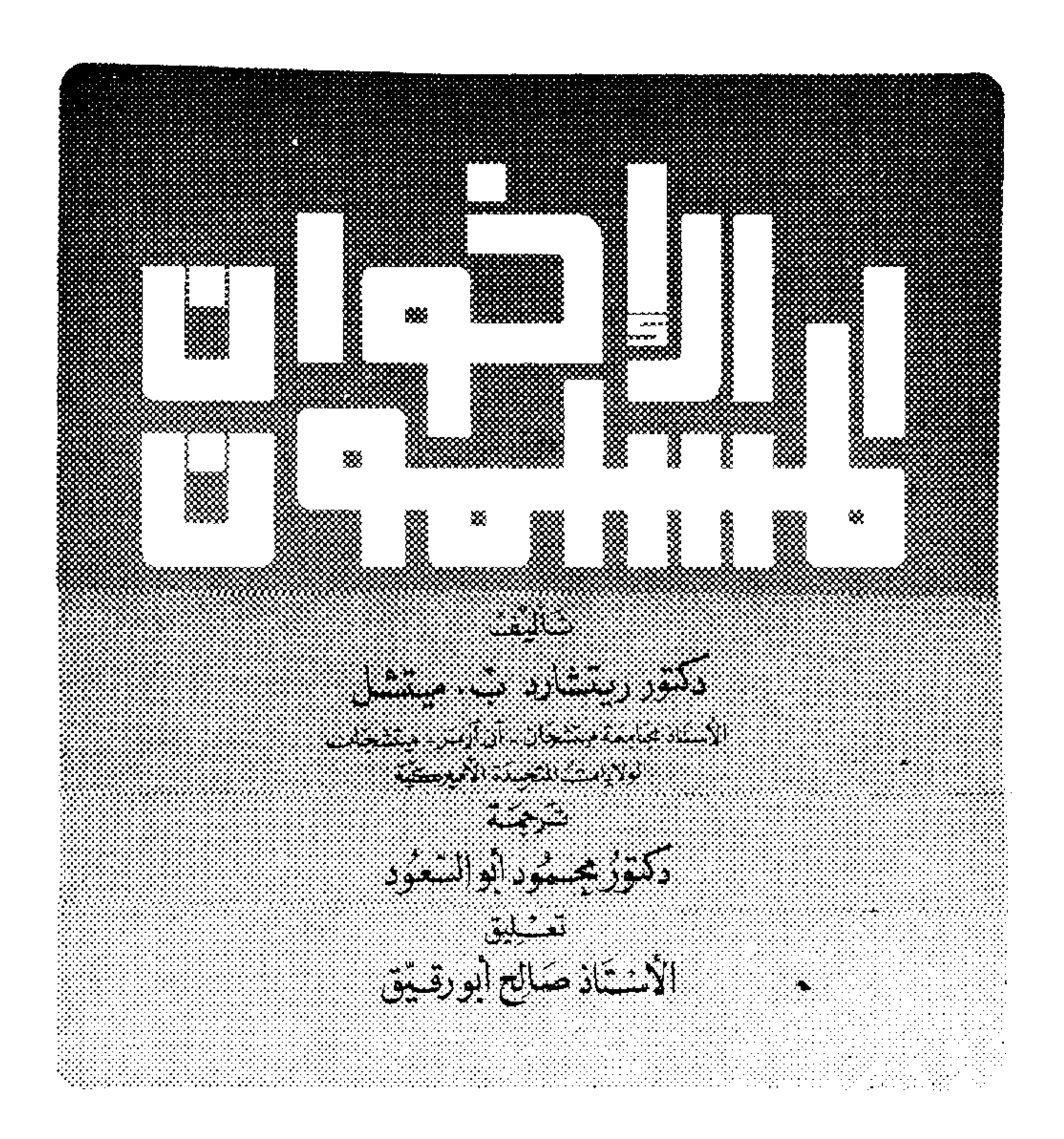
المجتمع الذي يعيش فيه ولكن ﴿أفمن كان مؤ مناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ [السجدة : ١٨].

وسيظل إنسان العصر في هوة الضياع إذا لم يتجاوز القلق إلى الإيمان ، وستزداد مشكلاته حدة إذا ظل يمارس حرية كتلك التي يدعو إليها سارتر ، وهي حرية من شأنها أن تؤ دي به إلى التردي في الهوة السحيقة التي يريد سارتر أن يؤول إليها كل وجود إنساني ، وهي هوة العدم .

وحين يركز فلاسفة هذا العصر اهتمامهم على ما يسمونه « مأساة الإنسان » فهم ينطلقون من الإلحاد ، والذي ينطلق من الإلحاد ﴿ كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ [الأنعام : ٤٠] ، ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ [النور : ٤٠] .

إن كثيراً من فلسفات العصر كالوجودية الملحدة ، إذ تنتهي إلى العدمية (Nihilism) لا تمثل إلا خواء فكرياً كفيلاً بالقضاء على كل ما هو عظيم من إنجازات الإنسان .

صدر حديثا



يضم الكتاب أربعة أجزاء في مجلد واحد يقع فيما يزيد عن خمسمائة صفحة من القطع الكبير .

ويبحث الجزء الأول في تاريخ الجمعية منذ نشأتها وحتى اصطدام عام **١٩٥٤** .

ويعالج الجزء الثاني تنظيم الجمعية من حيث هيكلها وادارتها وقنواتها **للإتصالات** .

أما الجزء الثالث فيبحث في أفكار الجمعية من حيث المشكلة وحلها وما قامت به من اصلاح وعمل على هذا الطريق .

ويختم الجزء الرابع الكتاب بالحديث عن حركة التنظيم ، والسياسة والعنف والاسلام والاخوان ، والاستجابة لعضوية الجمعية .

صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية *

د . إسماعيل الفاروقي **

١ ـ نشأة العلوم الإجتماعية في الغرب :

لا تكاد الفروع الدراسية التي يطلق عليها الغرب « العلوم الإجتماعية » تبلغ من العمر قرناً من الزمان ، وتشمل تلك العلوم في معظم الجامعات خمسة فروع تتمثل في علم الإجتماع ، وعلم الإنسان ، والعلوم السياسية ، وعلم الإقتصاد ، والتاريخ ، ويوجد فرعان آخران من الدراسة يتمتعان بمرتبة مزدوجة هما : الجغرافيا وعلم النفس . فإذا بادر علم الجغرافيا إلى معاونة أي من العلوم الإجتماعية الأخرى بأن يأخذ على عاتقه إيجاد علاقة بين نتائج أبحاث تلك العلوم وبين المكان ، فإنه يصبح علما اجتماعيا آخر ، ويسمى بالجغرافيا الإجتماعية ، او الإنسانية ، أو السياسية ، او الاقتصادية ، أو التاريخية او الثقافية وفيما عدا ذلك ، فإن الجغرافيا تعني بدراسة الأرض ، كما يشير أصل ذلك اللفظ ، وتصنف ضمن العلوم الطبيعية . وفي تلك الحالة يطلق عليها إسم « الجغرافيا المادية » أو « الطبيعية » . وينطبق نفس الوضع بالنسبة لعلم النفس . فحين يعني بدارسة الأشخاص يتم تصنيفه ضمن العلوم الطبيعيه ،

---

* قدم هذا البحث الى المؤتمر العالمي الاول للتعليم لاسمي في مكة المكرمة ابريل ١٩٧٧

** الاستاذ بجامعة تمبل فيلادلفيا ورئيس رابطة علماء الأجتماع المسلمين .

ولكنه إذا عني بدارسة الجماعة يصبح حينئذ علماً إجتماعياً ويطلق عليه إسم علم النفس الاجتماعي .

لقد حصلت تلك الفروع من الدراسة على مكانة مستقلة بذاتها في الجامعات في القرن الماضي . ومع ذلك فإن الدوافع التي أدت إلى نشأتها ونجاحها ترجع في أصلها إلى أكثر من قرنين ماضيين . . . إن معتنقي المذهب العقلي في القرنين السابع عشر والثامن عشر قد أقاموا نظاماً عظيما للفكر حاولوا بمقتضاه إعادة تأسيس الدعامة الأولى للثقافة الغربية المسيحية على أساس عقلي ، ولقد كان معظم الأوروبيين الغربيين ينظرون إلى الثورة الفرنسية على أنها الحركة الظاهرية التي أدت إلى تدعيم ذلك النظام وحاولت أن تضفي عليه الصبغة العالمية ، ولقد كان فشلها اللاحق يمثل كلاً من العلة والمعلول لظهور مذهب النزوع إلى الشك الذي كان قد شن معركة قاسية على مدى قرون عديدة من قبل ضد سطوة الكنيسة . ولقد تم خوض تلك الحرب الطويلة القاسية في مجالات العلوم الطبيعية ، وبصفة رئيسية علم الفلك وعلم الكون حيثما كان كل من الكنيسة ، والكتاب المقدس ، يعتنقان آراء تتعارض مع ملاحظات العلوم التجريبية ؛ ولقد نجح ذلك النزوع إلى الشك في هدم المذاهب التي اعتنقتها الكنيسة حول الكون ، وأيضا النظم العقلية التي بالرغم من منطقيتها كانت لا تزال تؤمن بصحة المبادئ الرئيسية للمسيحية .

وليس من الغريب أن يؤدي تحقيق ذلك الإنتصارالهين الى منح الثقة للإتجاه الجديد ، والايمان بأساليبه التجريبية ، ومثابرته على اختبار الأشياء ، ورفضه جميع أساليب الاستنتاج واعتماده التام على ميثودولوجيا العلوم الطبيعية . ولقد عاد أوجست كونت بنظره إلى الوراء إلى تلك الفترة ، ورأى كيف كان العالم يتمرغ في الوحل وسذاجة المعتقدات وكيف أنه لم يع ما يمليه العقل إلا حديثا . ولقد شهد أوجست كونت تلك الفترة القصيرة التي سيطر فيها العقل باعتبارها الفترة التي نجحت فيها أوروبا في إنهاء الطغيان الفكري للكنيسة ، ولكنه عندما كان يتطلع إلى المستقبل ، كان يشعر بالتفاؤل ويستطيع أن يتنبأ

بظهور فجر عصر جديد ، عصر العلم الإيجابي ، الذي يستطيع فيه الإنسان ـ بعد تحرره النهائي من كل من الإيمان الساذج والأفكار الجازمة ـ أن يأخذ مكانه في العالم الذي يكون بدوره قد تحرر من كل من الإثنين . ومن ثم فإن الإنسان طبقاً لـ « كومت » يجب أن يطبق العلم لتنظيم حياته ذاتها ، ومثلما طبق الطب على وجوده الفردي المادي ، يجب أن يبتدئ في تطبيق العلوم الاجتماعية على سلوكه الاجتماعي وعلى سلوك الجماعة ككل ، وطبقا لأب العلوم الإجتماعية في الغرب ، فإن العلوم الطبيعية تحوز على ميثودولجيا الحقيقة التي لا يمكن وضعها موضع الشك . ونظراً لأنه قد تم تطبيق تلك العلوم في النطاق المادي ، فقد حان الوقت الآن لأن يمتد ذلك النجاح إلى نطاق العلاقات الإنسانية .

٢ ـ نموذج العلوم الطبيعية :

لقد كان جوهر ذلك التطور بأكمله يتمثل في الميثودولوجيا الإستقرائية للعلوم الطبيعية ؛ ذلك أن حقائق العلوم الطبيعية تعد قابلة للملاحظة عن طريق الحواس وكل منها يعد منعزلا عن الآخر وقابلاً للقياس عن طريق الحواس . وتعتبر تلك الحقائق « جامدة » بمقتضى حصانتها ضد نزعة الشخص القائم بالملاحظة ، وهي تبدي نفس السمات والسلوك في جميع الأوقات طالما أن الأحوال المحيطة بها تظل كما هي بصرف النظر عن أي تدخل شخصي من الشخص القائم بالملاحظة . وليس ثمة مبدأ في العلوم تضفي عليه صفة القدسية ، فإن كل شيء يعد قابلاً للشك ؛ والبراهين الناتجة عن التجربة هي فقط التي تعتبر أساساً للنظرية التي تظل صحيحة طالما لم يتم دحضها عن طريق أي تجربة أخرى . وتعتبر النظرية بمثابة قانون طبيعي عندما تثبت صحتها من خلال التجارب والملاحظات المتكررة .

لقد تضمنت تلك النظرية دعوة لجعل العالم بأجمعه شيئاً قابلاً للتفسير ، ولقد تم إرغام الطبيعة أخيراً على أن تفتح أبوابها ، فإن العلم قد أرغمها على ذلك بمقتضى تحقيقه في أسباب حدوث الظواهر ونتائجها . فإن اكتشاف السبب

الذي يؤدي إلى حدوث ظاهرة معينة ، أي تعريف المسببات القادرة على إحداث الظاهرة ووضعها في نطاق الملاحظة والقياس يعد بمثابة تفسير لتلك الظاهرة ؛ ويهدف ذلك في الحقيقة إلى تمكيننا من السيطرة عليها وتوجيهها . وهكذا فإن العلوم الطبيعية تعد المفتاح لتحقيق السيطرة على الكون ؛ وإن مقدرة تلك العلوم على فهم الأشياء تعد بصفة مباشرة مقدرة على التوجيه والسيطرة . ومن ثم فهي تعد قوة مثلما تعد سعادة . لقد استحوذت تلك الرؤية العلمية على الرجل الغربي وأطلقت طاقات هائلة لاستكشاف الطبيعة وإستغلالها ، وقد أثبتت المكاسب التي تم إحرازها وتحقيقها تلك الرؤية بما لا يترك مجالا للشك ، وجعلت العلم الطريق المؤكد لتحقيق الحياة المثالية . وبالطبع ، فإن ما كان ممكناً تطبيقه بالنسبة للطبيعة قد تم إفتراض إمكانية تطبيقه بالنسبة للإنسانية ، * أي بالنسبة لكل من الفرد والمجتمع ، فإن كليهما يمثل الطبيعة ، ويجب إخضاعهما لنفس الأساليب ، إن لم يكن لنفس القوانين ، بغرض فهمهما ، وإلى جانب تلك الثقة ، كان يوجد الأمل في توجيه الحقيقة الإنسانية الإجتماعية إلى الغايات التي تم تصورها سلفا ، ولكن المجتمع لم يكن يتحرك بنفس السرعة التي كان يتحرك بها التطور العلمي ، واذا أراد المجتمع أن يحافظ على ذلك القدر من التفاؤل الذي بثه العلم ، فإن عليه الإسرع في إحراز التغيير . وقد كان السؤال عن كيفية تحقيق مثل ذلك التغيير حاثاً للعقل الغربي على محاولة فهم السلوك الاجتماعي من أجل توجيهه الوجهة المرغوبة ، وسرعان ما توصل التفكير إلى أن الأسلوب التحليلي الخاص بالعلوم الطبيعية يستطيع أن يحقق مثل ذلك الفهم ويفتح أبواب المجتمع لإحلال التنظيم والتخطيط والتوجيه .

٣ ـ نقائص الميثودولوجيا الغربية :

إنكار وثاقة صلتها بالحقائق البديهية :

الطالب الغربي الذي يدرس طبيعة الإنسان والمجتمع لم يكن في حالة تجعله يدرك *أن ليس بالضرورة أن تكون جميع الحقائق المتعلقة بالسلوك*

الإنساني ، قابلة للملاحظة عن طريق الحواس ، ومن ثم خاضعة للقياس ؛ فإن الظاهرة الإنسانية لا تتكون من عناصر « طبيعية » على وجه القصد ، بل يتدخل فيها عناصر أخرى تنتمي إلى نظام مختلف ، أي النظام الأخلاقي الروحي ، وتقررها إلى درجة فائقة ؛ وتلك العناصر لا تعد بالضرورة بمثابة نتائج لازمة لعناصر الطبيعة أو قابلة للإستنتاج من تلك العناصر ؛ وهي لا تتسم بالتماثل العالمي في الجماعات الإنسانية ، بل إنها تعتمد على التقاليد والثقافة ، والدين ، والأولويات الشخصية والجماعية التي ليس من الممكن أبداً وضع تعريف شامل لها . وبمقتضى كونها روحية ، فإن تلك العناصر ليس من الممكن عزلها أو فصلها عن أصولها الطبيعية ، وليس من الممكن أبداً إخضاعها للأسلوب القياسي الوحيد الذي يعرفه العلم ، وهو الأسلوب الكمي ، ولقد نظر إليها العلم بإعتبارها أشياء غير موجودة أو غير وثيقة الصلة ؛ ولقد فرض العلم تحليله للعناصر الطبيعية القابلة للملاحظة التي تتمثل في سلوك الإنسان ، وبإصراره على تفسير السلوك الإنساني . فإنه قدم إلينا نظريات غير متقنة وتفسيرات مشوهة . ومن أجل أن يتسم ذلك التحليل بالصفة العلمية ، فإن العالم الاجتماعي قد خفض العنصر الأخلاقي والروحي للحقيقة الاجتماعية إلى تأثيره أو أصله المادي . وإن الميثودولوجيا التي وصفها لا تزال إلى يومنا هذا خالية من الأودات التي نستطيع بمقتضاها التعرف على الناحية الروحية والتعامل معها .

وقد أدى ذلك الخطأ الجوهري في تعريف حقائق العلوم الإجتماعية والتعرف عليها إلى ظهور خطأ آخر هو أن أي شخص يقوم بالملاحظة يكون في إمكانه وضع القوانين التي تتحكم في الحقيقة الاجتماعية لو انه اتبع القواعد العلمية بطريقة مدققة ؛ ولكنه يجب أن يتأكد من إبطال أي نوع من التحيز الشخصي والإمتناع عن إصدار أي حكم سابق ، فالحقائق يجب أن تترك لتتحدث عن نفسها : ولقد ساد الإعتقاد أنه بمقتضى ذلك التشدد لن تستطيع الحقائق إلا أن تكشف عن أسرارها وهكذا تصبح خاضعة للمعالجة العلمية .

ومع ذلك ، فإن الحقائق الخاصة بالسلوك الإنساني ، بإختلافها عن حقائق

العلوم الطبيعية لا تتسم بالجمود ولكنها مفعمة بالحياة ، فهي ليست ذات حصانة ضد إتجاهات وأفضليات الشخص القائم بالملاحظة ، وهي لا تكشف عن صورتها الحقيقة لكل باحث ، فالمواقف ، والمشاعر ، والرغبات ، والأحكام ، والآمال الخاصة بالبشر من رجال ونساء لا تبدي نفسها للشخص القائم بالملاحظة الذي لا يدين بأي تعاطف تجاهها ، ونستطيع أن نجد التفسير لذلك التعصب الظاهر الذي تبديه الحقائق تجاه الشخص القائم بالملاحظة في تحليل الإدراك القيمي . وفيما يتعلق بإدراك الأشياء « الجامدة » ، فإن حواس الشخص القائم بالملاحظة تعد سلبية وتتقرر بصفة كلية بواسطة الحقائق . **وعلى عكس ذلك** فإنه بالنسبة لإدراك القيم ، نجد أن الشخص القائم بالملاحظة هو الذي يؤكد الحقائق أو يتعاطف معها بطريقة فعالة سواء أكان مؤيدا أو معارضا ، وإدراك القيم يعد في حد ذاته تقريراً لتلك القيم ، أي إنه يحدث فقط عندما يتم تفهم القيم في واقع الحياة . وبعبارة أخرى ، فإننا لا نستطيع القول أنه قد تم إدراك القيمة إلا إذا كانت قد حركت ، أو أثرت في أو أثارت عاطفة أو شعوراً في الشخص القائم بالملاجظة وفقاً لما تتطلب طبيعتها ، ويعتبر إدراك القيم شيئا مستحيلا لو لم يتم إحداث ذلك التأثير من خلال قوتها المقررة أو إغرائها المؤثر ، ولكن ذلك ليس من الممكن حدوثه بدون إعداد من قبل الشخص القائم بالملاحظة الذي سوف يمر بذلك التأثر ، وبدون التعاطف الوجداني مع الشيء . إن اتجاه الشخص القائم بالدراسة تجاه الحقائق موضع الدراسة يقرر نتيجة تلك الدراسة ، وذلك هو السبب في أن الدراسات الإنسانية الخاصة بالرجل الغربي والتحليلات الإجتماعية للمجتمع الغربي التي يقوم بها العلماء الغربيون تتسم بالضرورة بالصفة « الغربية » ، وليس من الممكن أن تكون نماذج تحتذى لتطبيق دراسات على المسلمين أو مجتمعاتهم .

لقد كان العلماء الاجتماعيون الغربيون من الجرأة ، بحيث أعلنوا أن أبحاثهم تتسم بالموضوعية ، ولكننا نعلم جيدا أنهم يدينون بالتحيز وأن إستنتاجاتهم غير مكتملة ، ولكن « علم الإجتماع الخاص بالمعرفة » **لديلثي** لم

يكن قد ظهر بعد حتى يعلمهم أن موضوعيتهم المفترضة لم تكن بأكثر من حلم . ولقد كان علم الإنسان هو أكثر العلوم جرأة نظراً لأن موضوع دراسته - وهو المجتمعات « البدائية » المنتمية للعالم الغير غربي - كان حقيقة جامدة ، غير قادرة على رفع إصبع واحد بالإنتقاد لأساتذتها ، ولقد تم تكوين النظرية تلو الأخرى لإيجاد صياغة لتلك الحقائق التي كانت تعد جزءاً لا يتجزأ من الرأي الغربي عن العالم . إن العقل الغربي ، بالرغم من التقدم المفاجئ في علم القيم الفينومينولوجي ، كان بعيداً عن الإدراك بأن فهم الأديان أو الحضارات والثقافات الخاصة بالشعوب الأخرى يتطلب نوعاً من التحيز المضاد ، وتعاطفا مع الحقائق لو أنه سيتم فهم تلك الحقائق على الإطلاق . وبالرغم من أن ذلك الاكتشاف قد جاء عن طريق المؤرخين والمختصين بإقامة المقارنات بين الأديان والمدنيات - ولكن العلماء الاجتماعيين نادراً ما كانوا يشيرون إليه - فإننا نستطيع القول عن يقين أن الحقائق الخاصة بالعالم الإجتماعي ، أي العناصر السلوكية تعد ملتزمة بعنصر آخر ، ذي طبيعة مختلفة وهو العنصر التعتيمي . إن إنعدام المقدرة على الرؤية أو إنعدام الإحساس يفسد البحث ويبطل إستنتاجاته ، وإن التعاطف مع الحقائق وتفهم قوتها الدافعة يعد شرطاً لإدراك تلك الحقائق ، ومن ثم يعد مكملا ضروريا ، حتى تكون الإستنتاجات صحيحة ؛ فالإتجهات ، والمشاعر والآمال الخاصة بالأفراد والجماعات لا تظهر حقيقتها إلا للمستمع المتعاطف الذي يعد موقفه تجاهها شيئاً حاسما ، ولو لم يكن ذلك المستمع ذا خبرة ومقدرة على التعاطف فإنه لن يلمس تلك الأشياء ومن ثم سوف يكون الإختبار الذي يقوم به مفتقراً إلى الإتقان اللازم .

علم القيم الشخصي إزاء علم القيم الخاص بالأمة :

لقد أظهرت لنا المناقشة الأولى الخاصة بهذا القسم أن العلوم الإجتماعية الغربية تعد ناقصة ، وأظهرت لنا المناقشة الثانية أنها تتسم بالضرورة بالسمة الغربية ومن ثم فهي غير ذات جدوى لأن تكون بمثابة نموذج لطالب العلم

المسلم . أما المناقشة الثالثة فقد أظهرت لنا أن العلوم الإجتماعية الغربية تنتهك متطلباً حاسماً للميثودولوجيا الإسلامية .

لعل أكثر صفات الميثودولوجيا الإسلامية وضوحاً هو مبدأ وحدة الحقيقة ؛ ويقر ر ذلك المبدأ أن الحقيقة تعد شكلا من أشكال الله وليس من الممكن فصلها عنه ، وأن الحقيقة واحدة مثلما أن الله واحد فالحقيقة لا تشتق وجودها من الله الذي هو خالقها وسببها النهائي فحسب. بل أنها تشتق معناها وقيمتها من إرادته التي تعد غايتها وغرضها النهائي،وتقاس فاعلية تلك الحقيقة بمقتضى تحقيقها أو عدم تحقيقها للقيمة . وفي الواقع فإن الحقيقة أصبحت تتسم بالفعالية حتى غدا الممكن وصفها بأنها صياغة للإرادة الإلهية ، ولذلك يجب دراستها في إطار تحقيق القيم أو انتهاكها . وبمثل ذلك الأسلوب ، فإن الحقيقة خارج هذا الإطار لا تعني شيئاً على الإطلاق . ومن ثم ، فمما لا أساس له من الصحة أن نحاول إقامة معرفة الحقيقة الإنسانية بطريقة منفصمة عما يجب أن تكون عليه تلك الحقيقة ، ولذلك ، فإن أي بحث يتعلق بالإنسان ، يجب أن يتضمن موقف ذلك البحث إزاء الغايات .

وذلك المبدأ الخاص بالميثودولوجيا الإسلامية لا يتماثل مع المبدأ الذي يقر بوثاقة صلة الناحية الروحية ، ولكنه يضيف إليه شيئا يتميز بكونه إسلاميا ، وهو المبدأ المتعلق بالأمة ؛ ذلك المبدأ الذي يقر أنه ليس ثمة قيمة ومن ثم ليس ثمة أمر يتسم بالصفة الشخصية أو يتعلق بفرد واحد . وإدراك القيم أو تحقيق القيم لا يتصل بالشعور الشخصي في لحظة معينة أو بالفرد وعلاقته الخاصة مع الله . إن الإسلام يؤكد أن وصايا الله ، أو الأمر الأخلاقي يعد بالضرورة شيئا خاصا بالمجتمع ، إنه بالضرورة يتصل بالنظام الإجتماعي في الأمة ولا يمكن أن يسود إلا بها ؛ وذلك هو السبب في أن الإسلام لا يدين بأية فكرة تتعلق بالأخلاق أو التقوى الشخصية إلا إذا عرفها في إطار الأمة ، وحتى في الصلاة التي تعد مواجهة شخصية للغاية مع الله وعبادته ،فإن الإسلام قد أعلن أنها وسيلة لتحقيق الأوامر الأخلاقية المتعلقة بحب الغير وما يماثلها. وحقيقة ، فإن

الإسلام قد جعل قيمته الدينية متوقفة على تلك الأوامر ، وذلك هو السبب الذي جعل الإسلام يحرم الأديرة والامتناع عن الزواج ، ويترجم مثله الدينية والأخلاقية في الشريعة ، أو القانون العام ، ويربط وصاياه الأخلاقية بالمؤسسات العامة التي لا يمكن أن تزدهر ، إلا إذا كانت الدولة ذاتها إسلامية ، ذلك هو مغزى تجاوز الإسلام لحدود الفضيلة المسيحية ، وفي حين أن المسيحية قد عرفت الخلاص في إطار النية ، أي الشعور الشخصي في لحظة معينة ، فإن الإسلام قد عرفه في إطار العمل ، أي الحياة العامة في إطار الزمان ، والمكان والمجتمع ، وفي الحالة الأولى ، كان الضمير هو الحكم النهائي على وجه الأرض ، أما في الحالة الأخيرة ، فإن الحكم أصبح يتمثل في القانون العام ، والمحكمة العامة ، والقوانين العامة ، والثواب والعقاب بواسطة الله على مدى التاريخ . لقد صاغ الإسلام الإيمان بالأخرويات من أجل تدعيم ذلك الصرح التاريخي من الأفكار ، والقيم ، والقوانين ، والمؤسسات ، وحتى المعرفة الإسلامية ، ذاتها ، أي معرفة إرادة الله كما هي واضحة في الوحي قد جعلها الإسلام ممكنة فقط في إطار المجهود الجماعي الدائم من خلال **الإجماع والتواتر** . وطبقاً للرأي الإسلامي ، فإن الناحية الخاصة بعلم القيم والناحية الخاصة بالأمة يعتبران متكافئين وقابلين للتحويل ، وهما سوياً يكونان بعداً جوهريا ، وشرطاً لا بد منه للحقيقة ، وليس من الممكن أن تكون ثمة معرفة لتلك الحقيقة بدون قيمة ، وليس من الممكن أن تكون ثمة قيمة دينية أو أخلاقية إلا في إطار الأمة ، وتصور لنا قصة حي بن يقظان تلك الحقيقة الخاصة بالوعي الإسلامي بشكل مثير . فبعد أن اكتشف الاسلام بالمنطق الطبيعي ، وبعد أن توصل من خلال جهوده الخاصة إلى إدراك الرؤية العالمية والرؤية الأخلاقية الخاصة بالإسلام ، تقدم حي يجوب البحار بحثاً عن الأمة التي لا يستطيع أن يحيا بدونها .

لقد فصَل الغرب العلوم الإنسانيه عن العلوم الاجتماعية بسبب الاعتبارات الميثودولوجية ؛ ولقد نجح ذلك الفصل في استبعاد جميع التقييمات من العلوم

الإجتماعية فيما عدا تلك التي تقوم على أساس غايات مقيدة ، فإن الموضـوعية (العلمية) لم تستطع إجازة تلك التقييمات ومن ثم صرفتها إلى العلوم الإنسانية التي أصبح اهتمامها وتطبيقها يتسم بالصفة الشخصية والفردية التامة ، وذلك التطهير المتعمد للعلوم الإجتماعية من جميع إعتبارات القيم الجوهرية قد جعلها عرضة للتأثر بأي قوة تتعرض لها ؛ وكانت النتيجة لذلك هي استحواذ الحقائق الواقعية لأي مجتمع على المقدرة لتكوين المعـايير الخاصـة به . لقـد أدى مبـدأ الواقعية ، ومن ثم الإستقلال الذاتي القيمي للحقائق الإجتماعية ، ووضعها موضع الإختبار إلى التدهور الأخلاقي الحتمي للمجتمع ؛ ولقد كانت نتيجة البحث الجنسي المتحرر من القيم الذي أجراه « كينزي » هي تحول الإنتباه عن الزنا وتركيزه على منَع الحمل . ومن الناحية الأخرى ، فإن منح الغرب العلومّ الإنسائية مكاناً خارج نطاق العلم قد أعفى تلك العلوم من التشـدد الخـاص بالموضوعية ؛ وبإنزالها إلى المرتبة الدنيا حيث لا تطالب بالموضوعية العلمية ، أو حيث لا يمكن إحراز تلك الموضوعية أبدا ، فإنها قد أصبحت عرضة للهجمات من مذاهب النسبية ، والتشكك والذاتية ؛ وقد ساعد ذلك على إبطال أثرهـا بصفة أكبر وإفساد قوة متضمناتها (أي الإيمان ، والعقيدة ، والأمل ، والخير ، والواجب ، والجمال ، الخ) . في تقرير الحياة والتاريخ .

٤ ـ إضفاء الصفة الإسلامية على العلوم الإجتماعية :

أ ـ لازم وحتمي لجميع الدراسات . سواء كانت تتصل بالفرد أو الجماعة ، بالإنسان أو الطبيعة ، بالدين أو العلم ، أن تعيد تنظيم نفسها تحت لواء مبدأ التوحيد ، أي أن الله سبحانه وتعالى موجـود وهـو واحـد ، وهـو الخالـق ، الملك ، الوهاب ، الرزاق ، وهو مسبب الأسبـاب وهـدف وغـاية كل شيء في الوجود ، وأن جميع المعرفة الموضوعية عن العالم تعد بمثابة معرفـة لإرادتـه ، وتدبيره ، وحكمته ، وأن جميع نوايا البشر ونضالهم تتقرر بإذنه وأمره . ويجب أن توجه جميعها للإلتزام بأمره . ، أي الإلتزام بالنمط الإلهـي الذي أوحى به ،

حتى تجلب السعادة والهناء للبشر .

ب ـ العلوم التي تدرس الإنسان وعلاقاته مع البشر يجب أن تقر أن الإنسان يحيا في ملكوت يحكمه الله في كل من الناحيتين الغيبية والقيمية ؛ وتتضمن تلك العلوم التاريخ الإنساني ـ أي المجال الذي نستطيع أن ندرك فيه المستويات العليا من النمط الإلهي ـ ويجب أن تعنى تلك العلوم بخلافة الله على الأرض ، أي خلافة الإنسان ؛ ونظراً لأن خلافة الإنسان تعد اجتماعية بالضرورة ، فإن العلوم التي تقوم بدراستها يجب أن تسمى العلوم الخاصة بالأمة ، فالدراسة الإسلامية ترفض الإعتراف بتشعب العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية ؛ بل إنها تتطلب إعادة تصنيف فروع الدراسة وتقسيمها إلى العلوم الطبيعية التي تتناول الطبيعة ، والعلوم الخاصة بالأمة التي تتناول الإنسان والمجتمع . ولو أننا نحن اعضاء اتحاد العلماء الاجتماعيين المسلمين واصلنا تسميتها بالعلوم الإجتماعية ، فإننا سوف نفعل ذلك متحدِّين الغرب الذي يصر على فصلها عن العلوم الإنسانية ؛ ويجب أن نتذكر أن دراسة المجتمع لا يمكن أن تخلو من الأحكام والتقييمات ومن ثم فهي تخضع لنفس التشدد ، أو تخلو منه مثل الفلسفة ، واللاهوت ، والقانون ، والأدب والفنون . وعلى عكس ذلك ، فإن العلوم الإنسانية تعنى بدراسة ما يطلق عليه النظم الإجتماعية ، وهي قادرة على تطبيق نفس المبادئ لإثبات صحة موادها وإستنتاجاتها .

ج ـ العلوم الخاصة بالأمة لا يجب إهدار مكانتها بواسطة العلوم الطبيعية ، فإن كليهما يحوز على نفس المرتبة في الخطة الخاصة بالمعرفة الإنسانية ، والفارق الوحيد بينهما يكمن في موضع الدراسة ، وليس في الميثودولوجيا . وكلاهما يهدف إلى اكتشاف ، وفهم النمط الإلهي : أحدهما يعمل على استكشافه في نطاق الأشياء المادية ، والآخر في نطاق الشؤون البشرية . وذلك النمط في كل من المجالين يستدعي بالضرورة إيجاد أساليب ومناهج مختلفة ، وفي التحليل النهائي ، أي عند تصوير النمط الإلهي ، يخضع الاثنان ، لنفس القوانين

لإثبات صحتها . وفيما عدا أشياء مثل المواصفات الخاصة بالطقوس ، ووصف الأشياء التي تسمو فوق الوجود المادي ، ووضع التقريرات عن الماضي الغير معروف التي يكون من الصعب إخضاعها للبحث المنطقي ، فإنه ليس ثمة شيء قدمه لنا الإسلام عن طريق **النقل** أو الحديث ، الا وقد كان ثابتاً أو قابلاً للإثبات عن طريق العقل والفهم ، مثلما أكتشفناه ولا نزال مستمرين في اكتشافه عن طريق **العقل** . فإنه ليس ثمة شيء يكمن فوق إستراتيجية الفهم الإنساني .

د ـ ويدعي الغرب أن علومه الإجتماعية تتسم بالصفة العلمية لأنها محايدة ، وتتعمد تفادي الأحكام والتفصيلات الإنسانية، وتعامل الحقائق باعتبارها حقائق وتتركها تتحدث عن نفسها ، ولكن ذلك كما رأينا يعد إدعاء غير ذي جدوى ؛ فإنه ليس ثمة إدراك نظري لأية حقيقة بدون إدراك طبيعتها وعلاقاتها القيمية ، ومن ثم ، فإنه بدلاً من الإمتناع عن تحليل الناحية القيمية الذي لا يمكن تطبيقه على أي حال ، والسماح للإعتبارات القيمية أن تقرر الإستنتاجات بطريقة سرية ، سوف يتولى أحد العلماء الصادقين القيام بعمل جميع التحليلات بطريقة صريحة ، ذلك العالم الذي لن يدعي أبداً التحدث عن المجتمع الإنساني في حين أنه في الحقيقة يعني المجتمع الغربي ، أو يدعي التحدث عن الدين في حين أنه في الحقيقة يعني المسيحية ، أو يدعي التحدث عن القوانين الإجتماعية والإقتصادية ، في حين أنه في الحقيقة يعني بعض الممارسات العامة للمجتمعات الغربية .

هـ ـ وأخيراً ، إن إضفاء الصفة الإسلامية ، على العلوم الإجتماعية يجب أن يعمل على إظهار علاقة الحقيقة موضع الدراسة مع ذلك الوجه أو تلك الناحية من النمط الالهي المتصلة بها ، ونظراً لأن النمط الالهي يعد المعيار الذي يجب أن تعمل الحقيقة على إحلاله ، فإن تحليل الأمر الواقع لا يجب أبداً أن يغفل ما يجب أن تكون عليه الأشياء ، وفوق ذلك ، فإن النمط الالهي ليس فقط شيئاً معيارياً يتمتع بشكلية مقدسة للوجود لا تتصل بالحقيقة الواقعة ؛ بل أنه أيضا يعد

حقيقياً بمقتضى أن الله قد جعل الحقيقة تميل إلى تجسيده ، وذلك نوع من الوجود الفطري الذي غرسه الله بمقتضى رحمته في الطبيعة الإنسانية ، سواء في الإنسان أو الجماعة أو في الأمة بإعتبارها نهراً مستمر التدفق . وهي تدخل في إطار الواقع والتاريخ بمقتضى القيام بالفعل الأخلاقي ؛ ولذلك فإن كل تحليل علمي - لو كان إسلامياً - يجب أن يعمل على كشف ذلك النمط الإلهي في الشؤون الإنسانية ، وأن يؤكد ذلك الجزء الواقعي منه وذلك الجزء الذي تكمن فيه القوة ، وأن يكشف عن العوامل التي تؤدي إلى تحقيق أو إعاقة إتمام عملية التجسد ، وأن يركز ضوء الفهم على علاقات تلك العملية مع جميع العمليات الأخرى الخاصة بالحياة في الأمة .

إن العالم الإجتماعي المسلم يعهد إليه بغاية الإسلام ، ويتركز جميع اهتمامه الدائم ورعايته ، وأيضاً أمله وتوقه على النمط الإلهي المتمثل في الشؤون الإنسانية ، وإن أسلوبه لا يتسم فقط بالصفة العلمية بمقتضى أنه لا يترك النواحي القيمية ، ولكنه أيضا يكون نزاعاً لإنتقاد الحقيقة في ضوء النمط الإلهي .

وعلى عكس ذلك ، فإن العالم الإجتماعي الغربي لا يستطيع أن يكون نزاعاً لانتقاد الأهداف أو الغايات الجوهرية للمجتمع ، ولكنه فقط ينتقد الوسائل بسبب إلتزامه الواعي بتصوير الأشياء وليس تأييدها ، ولكنه نادراً ما كان يتم احترام ذلك الإلتزام ، لأن إنكار العالم الإجتماعي الغربي لوثاقة صلة الناحية الروحية كان يعد في التحليل النهائي إنكاراً لوثاقة صلة القيم الخاصة بالكنيسة ،وتأكيداً لوثاقة صلة القيم النفعية والثقافية التي كان يجلها بصفة شخصية بأسلوب يتسم بالقبلية . ومن الناحية الأخرى ، فإن العالم الإجتماعي المسلم كان يلتزم بالقيم الإسلامية بطريقة صريحة وعلنية ، وذلك يعد مذهب يطالب بالحقيقة **بأسلوب** عقلي نزاع للإنتقاد ، وهو لا يشعر بالأسف أو الخجل إذا قام أنداده المسلمون أو غير المسلمين بتوجيهه ، فإن الحقيقة في رأيه ليست بأكثر من تفهم ذكي للطبيعة المتمثلة في التقارير والتجارب العلمية ، أو تفهم

الوحي الإلهي المتمثل في القرآن . وكلاهما من صنع الله ، وكلاهما موصوف بالصفة العلنية ، ولا يحتكمان لشيء سوى العقل والفهم .

وطبقاً لذلك الرأي ، فإن العالم الإجتماعي المسلم يكون قادراً على تقديم أسلوب إنتقادي جديد في العلوم الإجتماعية . لقد أدى الولاء للوسائل والغايات التي تؤدي إلى تحقيق فائدة إلى تدهور العلوم الإجتماعية الغربية حتى أصبحت « دراسات إستراتيجية » ، أي دراسات للإستراتيجيات التي تؤدي إلى تحقيق أهداف لا يستطيع أي شخص أن يدعي إمكانية إثبات شرعيتها بطريقة حاسمة . إن العالم الإجتماعي المسلم ، بمقتضى إلتزامه بالإسلام يجب أن يعتبر الإنسان خليفة لله على الأرض ، يتمثل واجبه في تحقيق القيمة على مدى التاريخ ، ولذلك فإن العلوم الإجتماعية الإسلامية تستطيع أن تضفي الصفة الإنسانية على ذلك الفرع من الدراسة ؛ وتعيد المثل الأعلى الإنساني إلى وضعه السابق في حياة الإنسان ، الذي كان طبقاً لوجهة نظر العلوم الإجتماعية الغربية ألعوبة لا حول لها ولا قوة في أيدي القوى الغامضة .

٥ ـ توصية للعمل :

الموارد الإنسانية :

إن أعضاء هيئات التدريس في الجامعات المسلمة في جميع أنحاء العالم ليسوا بالعدد المطلوب ، وليس ثمة جامعة مسلمة واحدة تستطيع إدعاء أن منهجها في العلوم الإجتماعية ، يتسم بالصفة الإسلامية . إننا لا نستطيع أن ننكر وجود مراكز متفرقة في العالم الإسلامي تتسم بقدر أكبر من الإستنارة ، ولكنه توجد حاجة ملحة للغاية يفتقر إليها التعليم الإسلامي وتلك هي الموارد الإنسانية . إننا حقيقة لدينا مئات الآلاف من حملة الماجستير وحملة الدكتوراه ، ولكن القليل منهم يمكن إعتباره من بين هؤلاء الذين لديهم حتى الإدراك بوجود تلك المشكلة المتعلقة بإضفاء الصفة الإسلامية على فروع الدراسة ، فإن معظمهم قد مر بعملية تامة من غسل المخ بواسطة الغرب حتى أنهم أصبحوا

أعداء أشداء ضد إضفاء الصفة الإسلامية ، أو على أفضل وجه أصبحوا متفرجين نياماً يتسمون باللامبالاة ـ بل والتشكك وانعدام القابلية للتأثر أو التأثير . وفيما يلي سوف نذكر أربعة إجراءات يجب إتخاذها من أجل الخروج من وضعنا الحالي المتسم بالجمود .

١ ـ تكوين إتحاد العلماء الإجتماعيين الملتزمين بالإسلام ، الذي يكون هدفه هو نشر وتقوية الوعي لبث الإدراك بوجود تلك المشكلة وخطورتها وإلحاحها ، وأن جميع الجهود الأخرى التي تهدف لإعادة بناء الأمة تعد غير ذات جدوى لو لم يكن لدى أهل الفكر الوعي برسالة الأمة الإسلامية ، الذي يحثهم على القيام بترجمة تلك الرسالة إلى توجيهات تتعلق بالمجالات المختلفة للسعي الإنساني ، ذلك هو الهدف النهائي لاتحاد العلماء الإسلاميين ، الملتزمين بالإسلام ، ذلك الاتحاد الذي يجب أن يتم تكوينه بواسطة القلة الذين لديهم الوعي والذين يتسمون بالإخلاص والإيجابية . ولحسن الحظ ، فإننا لدينا مثل ذلك الاتحاد بالفعل وهو يبلغ من العمر ست سنوات . ولو لم يكن موجوداً لكانت الخطوة الأولى التي نتخذها هي تكوينه .

٢ ـ ومثل ذلك الاتحاد يجب أن يربط نفسه بواحدة أو أكثر من الجامعات المسلمة لكي تقوم بتزويده بالموارد الإنسانية وغيرها وتزويد قاعاته الدراسية وقاعات محاضراته بمعمل خاص باكتشافاته وإنجازاته ، وإننا لمحظوظون لأننا بالفعل لدينا مثل ذلك الإتحاد الذي يحوز على عضوية واسعة الانتشار على نطاق عالمي . ولكن إتحاد العلماء الإجتماعيين المسلمين لا يزال ينشد تلك الجامعة المسملة التي يستطيع أن يرتبط بها .

٣ ـ والإجراء الأول الذي يجب أن يتخذه إتحاد العلماء الإجتماعيين هو تحديد وتعريف أعضائه الكامنين الذين يتمثلون في « الخريجين من حملة الدكتوراه » المخلصين للإسلام ، و (العلماء) الذين لديهم المقدرة على التعرف على تراث الثقافة الغربية إلى جانب تضلعهم في التراث الإسلامي ، والذين لديهم الموهبة الإسلامية للقيام بالتفكير الخلاق المتعلق بالأمة فيما وراء حدود النظام الأكاديمي .

٤ ـ إنه لا يوجد إلا القليلون ممن يشاركون في الرؤية الخاصة بإضفاء الصفة الإسلامية على العلوم الإجتماعية التي لم تصل بعد إلى الدرجة التي تتيح إدراكها على جميع المستويات ، وتدريب أعضاء الإتحاد لإدراك تلك الرؤية يعد الواجب التالي في أهميته . ويجب تطبيق مثل ذلك التدريب على هؤلاء الذين يحوزون على درجات علمية تفوق الدكتوراه ، ويجب أن يقوم الإتحاد بتنظيم برامج خاصة معدة للإيفاء بحاجة كل من أعضائه ، وتهدف إلى استكمال ثقافتهم . ويجب أن تتكون مثل تلك البرامج من مجموعات مكثفةمن الدراسات والمحاضرات ، والحلقات الدراسية المكثفة ، والقراءات ومشروعات البحوث ، وأيضا المؤتمرات .

٦ ـ مواد الدراسة وأدوات البحث :

إن تلك الأشياء ليست متوفرة في أي من اللغات ، ويجب أن يتم إعدادها ، وهي تتضمن ما يلي :

أ ـ بيانات المراجع المزودة بالحواشي والمرتبة طبقاً للموضوعات التي تركز على كل فرع من فروع الدراسة ، وعلى كل مشكلة رئيسية في أي من تلك الفروع يجب أن يتم إعدادها ، ويجب على وجه السرعة تكوين مجموعات متخصصة من الكتب وغيرها مما يساعد في إقامة البحوث لوضعها تحت تصرف العلماء المعنيين بالأمة .

ب ـ يجب أن يقوم الخبراء بإعداد معاينات تحليلية للمقالات والمقتطفات الأدبية المختارة التي تتناول التطور التاريخي للمشكلة أو فرع الدراسة ، أو الوضع الحالي للبحوث حتى تكون مرشداً للأشخاص الأقل خبرة في ذلك المجال ، وبافتراض إلحاح تلك الحاجة ، فإن ذلك يعد أسرع الطرق التي تمكننا من إتاحة الأدوات اللازمة لتوسيع حدود المعرفة الإسلامية أمام العقول الإبداعية .

ج - الأعمال الإبداعية :

بعد أن تتم تعبئة وتدريب الموارد الإنسانية ، وإعداد وتجميع أدوات البحث ، يجب أن يتم إعداد برامج خاصة بالحلقات الدراسية الحرة بهدف تمكين أصحاب المواهب المتوفرين لدينا من العمل وتقديم المقالات المبدعة والكتب التي تثبت وثاقة صلة الإسلام ، بالفروع الدراسية المختلفة وبالمشاكل الرئيسية الخاصة بكل فرع بأسلوب يتقبله الفهم . ومن الممكن أن يتكون ذلك البرنامج من ندوات للمناقشة وحلقات دراسية حرة معدة بصفة خاصة ، وندوات أو تعيين للأشخاص أو الجماعات لإقامة البحوث ووضع المؤلفات .

وبعد أن نكون قد أسسنا بعض التراث الخاص بالفكر الإسلامي المبدع في العلوم نستطيع أن نستهل إعداد الكتب الدراسية لاستخدامها في معاهدنا التعليمية ، والسبب في ذلك هو أن الكتاب الدراسي في حد ذاته غير كاف بدون المعلم المدرب ، ويكون تقريباً غير ذي جدوى لو كان ولاء المعلم يتركز في ناحية أخرى ، ولو كانت رؤيته ومعرفته يتسمان بعدم الكمال .

ومن الممكن إدماج تلك الخطوات الثلاثة في عملية ، واحدة ، لأن كلاً من تلك الخطوات تكمل الأخرى . ويستطيع المؤتمر ، بل إنه يجب أن يأخذ بالبدء في إنجاز تلك العملية .

صدر حديثا



سالم البهنساوي

دار البحوث العلمية

النظام الاقتصادي الإسلامي

نظرة عامة

د . منذر قحف

---

١ ـ الدين وعلم الاقتصاد:

يعتبر كل من الدين وعلم الإقتصاد شيئين متقاربين للغاية . ومن الناحية التاريخية ، نجد أنه حتى في الغرب ، كان علماء الإقتصاد الغربيون ينبعون من طبقات الكهنة والعلماء باللاهوت ، وقد تم تقديم علم الإقتصاد السكولاستي في العصور الوسطى في أوروبا بواسطة رجال الكنيسة مثل توماس أكونياس ، وأوغسطين وغيرهما . ونجد أنه حتى الفيزيوقراطيين في أوائل الفترة في ١٧٠٠ كانوا يضفون الكثير من الصبغة الدينية على كتاباتهم ، فقد كانت مشاعرهم تجاه الأرض والناس تقوم على أساس المسيحية ، ومع حدوث الثورة الصناعية والإنتاج الواسع النطاق ، كان هناك بعض العلماء الإقتصاديين الذين حاولوا فصل دراستهم ودائرة نفوذهم عن الدين ، وقد كان ذلك في الواقع شيئاً إستثنائياً في خلال تلك الفترة في أوروبا ، أي فترة الثورة ضد الكنيسة ونفوذها . وبمقتضى ذلك ، بدأ الحديث عن علم الإقتصاد السياسي ، بدلا من علم الإقتصاد السكولاستي . ولكن الثورة ضد الدين هدأت مع مرور الوقت . ونحن باعتبارنا علماء إقتصاديين ، أصبحنا ندرك الآن أنه يوجد دائما لعلم الإقتصاد إطار من العلم يتسم بالصبغة الدينية ، والأخلاقية والإنسانية ، يجب إعادة إدماجه في تلك المادة وفي الدراسة الموضوعية ، وأن إنكار العلاقة بين

علم الاقتصاد والقيم الأخلاقية كان فشلاً أو خطأ من ناحية الأجيال السابقة من العلماء الإقتصاديين . لقد أدركنا الآن ، مثل « ميردال » وغيره ، أنه من المستحيل اقتراح إمكانية فصل علم الإقتصاد عن الأحكام القيمية الخاصة بالبشر ، سواء بصفتهم كمجتمع ، أو أفراد أو علماء إقتصاديين ، ومن ثم فقد شهدنا في السنوات الحديثة عودة واسعة النطاق إلى اتجاه أكثر إنسانية ، ويعد العالم الإقتصادي التشيكي ، إيوجين لوفل ، الذي أنهى دراسته في هارفارد ممثلا لذلك الإتجاه في كتابه « الإقتصاد الإنساني » . الذي عرفه أنه « اقتصاد بواسطة البشر ومن أجل البشر » . إن العلماء الإقتصاديين المسلمين ، عندما يعلنون أن الدين يعتبر الخلفية للفكر الإقتصادي ، بل في الواقع لأي فكر اقتصادي ، يجب ألا يواجهوا بالدهشة ، نظراً لأن مثل ذلك القول ينبع في الحقيقة من ارتباطهم الذهني بالتطور التاريخي لذلك الفن . وفي الواقع ، فإن الدين يتناول معتقدات الناس وسلوكهم ، ومن ثم فإنه يجب أن يكون لكل من الأديان موقفاً إقتصادياً خاصاً به ، وإنه يجب أن يكون لكل من الأديان اتجاهاً إقتصاديا خاصا لأن علم الإقتصاد طبقاً لتعريفه الغالب ، يعد قبل كل شيء دراسة للسلوك الإنساني ، أي سلوك البشر بالنسبة لإنتاج ، وتوزيع واستهلاك السلع والخدمات ، وذلك السلوك الإقتصادي يعد جزءاً من السلوك الشامل للبشر ، ولذلك ، فإن علم الإقتصاد يجب أن يكون جزءاً من الدين . ولعل ذلك هو السبب فيما كان من إدانة للمعايير الإقتصادية السائدة في أوائل الفترة التي أوحي فيها بالقرآن . وفيما يلي نقدم المجموعة الرابعة من الآيات التي أوحيت للنبي محمد ، والتي تقول :

﴿ ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾

لعلنا إذا استطعنا تصنيف الأنبياء الذين جاءوا قبل محمد (عليهم السلام) في طبقات وتعيين مهام لكل منهم ، سوف نكتشف أن واحداً منهم ، وهو

شعيب ، قد كان هو نبي الإقتصاديات كما يحب بعض العلماء المسلمين أن يطلقوا عليه . لقد كان شعيب واضحاً في إقامة موقفه الإقتصادي على أساس إيمانه بالله ويوم الحساب ، وفي الحقيقة ، فإن ربطه بين السلوك الإقتصادي وبين الصلاة والعقيدة من الممكن أن يكون قد أصاب بعض أتباعه بالدهشة . فما هي العلاقة بين السلوك الإقتصادي والصلاة والعقيدة ؟ وكيف يمكن إقامة السلوك الإقتصادي على أساس تلك الأشياء ؟ لقد كان شعيب واضحاً تماماً في رأيه انه بمقتضى تلك الصلاة والايمان كان عليه أن يختار نمطاً معيناً من السلوك الإقتصادي . ويقول الله سبحانه وتعالى في القرآن :

﴿ وإلى مدين آخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط . ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين . بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين . وما أنا عليكم بحفيظ . قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ [هود ٨٤ ـ ٨٧]

وهكذا ، فإننا من الممكن أن نصوغ إستنتاجنا الأول كما يلي : إن السلوك الإقتصادي للإنسان والمجتمع يعد جزءاً من سلطان الدين . وفيما يلي سوف ننظر في العلاقة بين الإسلام وعلم الإقتصاد .

لعل الإسلام يختلف عن الديانات الأخرى في معالجته للمسألة الإقتصادية ، فإن الديانات المختلفة قد تختلف في مواقفها بالنسبة لمسألة معينة ، وخاصة بالنسبة لعلم الإقتصاد ، ونحب أن نقرر أن إتجاه الإسلام يختلف بوضوح إلى المدى الذي يضفي عليه الطابع الفريد ، وذلك الطابع الفريد للإتجاه الإسلامي يكمن في نظامه الخاص بالقيم المرتبط بالسلوك الإقتصادي ؛ والصفة الأساسية للمبادئ الأخلاقية الإقتصادية الإسلامية تتمثل في التوازن القائم بين تلك المبادئ . ويحث الإسلام البشر على الخضوع التام لله وتكريس

جميع حياتهم وقواهم لعبادته ، فإن الله يقول في القرآن ، في السورة السادسة [الأنعام] الآية ١٦٢ ، ١٦٣ :

﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾

وفي حين أن ذلك ـ طبقاً للقرآن ـ هو الهدف النهائي للمسلمين ، فإن مجرى الحياة أو أسلوب الحياة الذي يحوز على قبول الله يعتبر هدفاً يتضمن في إطار العالم المادي ؛ ويعني ذلك أن العالم المادي يعد طريقاً إلى الله وليس إنحرافاً عنه طبقاً للإسلام ؛ وأن أشياء مثل بناء الحياة المادية وتحسينها والتمتع بها تعد في حد ذاتها وسائل للحصول على المتع التي وهبها لنا الله ، وأن الإنعزال عن الحياة والإنسحاب منها يعد إثماً أدانه الله في القرآن وأدانه رسوله في السنة . وطبقاً لذلك ، نجد أنه بالرغم من أن هدف الحياة هو النجاح في الآخرة ، فإنه ليس من الممكن تحقيق مثل ذلك النجاح عن طريق تجاهل كل شيء في الحياة .

وبمقتضى ذلك ، فإن المبادئ الاخلاقية الخاصة بعلم الإقتصاد الإسلامي ترى في الثروة وسيلة للإشباع الإنساني والزيادة من قدرات الإنسان التي تؤدي إلى تحقيق تقرب أفضل إلى الله . ولذلك فإن الإسلام لا يدين السعي للحصول على الثروة ولا يدين التمتع بها ، والإسلام أيضاً لا يدين الحماس للحصول على دخل أكبر أو على أشياء مادية اكثر ، بل هو وفي الحقيقة ، يعتبر الحياة المادية هبة ونعمة من الله يجب الإنتفاع بها ، والإمتناع عن فعل ذلك يعتبر إلى حد كبير إثماً . ومما يعتبر مماثلاً للإثم أن لا يُستغل ما وهبه الله لنا . ولذلك ، فإن الإسلام يعتبر أفعالاً مثل الإنتاج ، والتوزيع ، والإستهلاك في إطارها العام جزءاً من العبادة .

ومن المفيد أن نذكر بعضاً من الأفكار الدينية التي ساهمت في ظهور الرأسمالية في الغرب . لقد أكد « ماكس ويبر »[1] أن نشأة الرأسمالية قد سبقها

---

(١) ماكس ويبر . المبادىء الأخلاقية البروتستانتية وروح الرأسمالية ، (نيويورك : أبناء شارلز سكريبنر ١٩٥٨) وقد تم نشره في الأصل بالألمانية عام ١٩٠٤ .

في الواقع ظهور مبادئ أخلاقية بروتستانتية ، معينة ! . وتشمل تلك المبادئ الأخلاقية على سبيل المثال : تقييم أداء الواجب في الشؤون الدنيوية باختلاف ذلك عن الحياة الرهبانية الخاصة بالكاثوليكية ، والتقييم الديني للعمل المضني المتواصل المنظم ، وأن اتباع المنفعة الذاتية يعد فضيلة وليس إثما ، ويماثلها أيضاً السعي للحصول على الثروة . وسوف نترك للقارئ فحص مدى تأثر تلك الأفكار بواسطة الإسلام ، او على الأقل أن تلك الأفكار قد وجدت في التعاليم الإسلامية منذ وقت طويل قبل أن يتم نشرها بواسطة كل من لوثر ، وكالفين ، وأتباعهما .

٢ ـ النظام الإقتصادي :

نستطيع الآن أن نتقدم باستنتاجنا الثاني ، وهو : أن الإسلام ، مثله مثل أي ديانة أخرى ، يعتنق موقفاً معيناً تجاه علم الإقتصاد ، وذلك الموقف يتسم بالإيجابية . والآن ، من أجل أن نقوم بدراسة النظام الإقتصادي الإسلامي ، فإن من الضروري أن نقوم بتعريف « النظام الإقتصادي » . ما هو النظام الإقتصادي ؟ إن النظام الإقتصادي دائما يتم تعريفه بأنه يتمثل في مجموعة من المبادئ التي تشكل الإطار الخاص بتنظيم النشاط الإقتصادي . وتلك المجموعة من المبادئ تقوم من ناحية على أساس وجهة نظر فلسفية تجاه النشاط الإقتصادي ، ومن الناحية الأخرى ، فإن تفاعل تلك المبادئ يشكل إطار النشاط الإقتصادي ويوجهه إلى الطريق المرغوب فيه بواسطة النظام . وهكذا ، فإن كل نظام إقتصادي يتكون من ثلاثة أجزاء ، وهي : الفلسفة الإقتصادية ، ومجموعة المبادئ ، والأسلوب التحليلي للعمل الذي يحدد المتغيرات الإقتصادية . . .

وتزودنا الفلسفة الإقتصادية بالأساس للنظام : فإنها تتناول آراء ذلك النظام بالنسبة للإنتاج ، والتوزيع ، والإستهلاك ، وتصوغ مبادئه ، وقواعد عمله . في نظريات معينة ؛ وهذه الفلسفة الإقتصادية تقوم بدورها على أساس موقف

مذهبي تجاه الحياة ، والإنسان والله ؛ فنجد أن الفلسفة الإقتصادية في الماركسية تتمثل في أفكار مثل صراع الطبقات وتناقض الطبقات ، وينبع من ذلك التناقض والصراع جميع المبادئ والقواعد الخاصة بالثورة البروليتارية والديكتاتورية البروليتارية ، والصراع الطبقي والتناقض يعدان بدورهما تجلياً لفلسفةالصراع ، التي تمثل الآلهة المتعددة لليونان في إرادتهم ورغباتهم المتعارضة ، والإله النزاع إلى الإنتقام الذي ينتمي إلى الثقافة اليهودية ـ المسيحية . وفي الرأسمالية ، نجد أن الفلسفة الإقتصادية تتمثل في « حرية العمل » واليد الخفية . ويعني ذلك أنه لا يجب أن تكون هناك أية قيود أو حد من سعي الإنسان لتحقيق مصلحته الذاتية ؛ وأنه إذا تركت الحرية للناس ليفعلوا ما يشاؤون ، فسوف يكون ثمة إنسجام بين مصالح الأفراد . وهكذا ، فإن الفلسفة الإقتصادية للرأسمالية تقوم على أساس وجود إله « منعزل » . فإن الله قد قام بالخلق والتنظيم ، ثم توجه إلى عزلته وتقاعد ، وهو لا يقوم بأي توجيه ، ولا يتدخل في أعمال العباد . وغالباً ما تكون تلك الفلسفة واضحة في مذهب اللاأدريين .

وأما العنصر الثاني لأي نظام إقتصادي فيتمثل في مجموعة المبادئ والتنظيمات التي تكون الإطار الإجتماعي ؛ والقانوني ؛ والسلوكي للنظام . وتلك تتضمن أموراً مثل : تنظيم الملكية ـ وهل تُمتلك وسائل الإنتاج بواسطة الأفراد أو العامة أو الدولة ؟ والقيود الموضوعة بالنسبة لسلوك الفرد ـ وما هي الحدود للسلع والخدمات التي يمكن الحصول عليها ؟ أو ما هي المعاملات التجارية المتفتحة أمام الناس ؟ وتتضمن تلك المجموعة من المبادئ أيضاً معايير السلوك بالنسبة للأفراد الذين يساهمون في تقرير الحالة الاقتصادية ، أي المستهلك والمنتج . وفي الرأسمالية ، نجد أن « حرية العمل » تتطلب أقل قدر ممكن من التدخل الحكومي ، وتتطلب وجود حق الملكية الخاصة والمطلقة ، وحرية التصرف ، وانفتاح جميع أنواع العلاقات الاقتصادية والمعاملات التجارية . ويتم إشتقاق المعايير الخاصة بالأفراد من مذاهب الفردية والنفعية .

وطالما أنه يتم بيع جميع الإنتاج لأي نوع من السلع ، فإن تلك السلع تعتبر شيئاً صالحاً طبقاً لجميع المعاني التي توحي بها تلك الكلمة ، سواء كانت معاني إقتصادية ، أو أخلاقية . وفي الماركسية ، نجد أن حق الملكية ينتمي بصفة رئيسية إلى البروليتاريا ، التي يتم تمثيلها بواسطة قيادتها الديكتاتورية ، ويتمثل ذلك النوع من الملكية في حيازة الدولة على الملكية الفعلية لوسائل الإنتاج ، وسلطة الدولة بالنسبة لتقرير ما سوف يتم إنتاجه ، وكيف ، ولمن ، بمقتضى المبدأ الثاني للإقتصاد الإشتراكي الذي يتمثل في التخطيط المركزي . وتعد الفائدة الجماعية بمثابة المعيار الرئيسي الذي يضعه ذلك النظام للأفراد ، وتعتبر مجموعة العلاقات الإقتصادية والمعاملات التجارية مقيدة للغاية .

أما العنصر الثالث للنظام الإقتصادي ، فهو أسلوب عمله ويتوقف أسلوب عمل أي نظام على بنيان ذلك النظام الذي يتشكل بدوره بواسطة المبادئ والأعمدة الرئيسية الخاصة بالنظام ، ويوجد لكل نظام مجموعة من القواعد يجب اتباعها من أجل ضمان سير عمله . وفي النظم الرأسمالية نستطيع التعرف على القواعد لو أننا طبقنا تعريفاً أكثر دقة بالنسبة للرأسمالية . وفيما يتعلق بالنظم الرأسمالية التي تتسم بالمنافسة المثلى ، نجد أن القواعد الرئيسية ترتبط بحرية الدخول والخروج ، وحرية المعلومات ، وحجم الوحدات الإقتصادية . وفي حين أننا نجد أن قواعد الرأسمالية الإحتكارية ، تتمثل في منع حرب الأسعار وفي نفس الوقت تزويد المنتجين بالمقدرة على تقدير أسعار تعلو على التكلفة الحدية ، فإننا في النظام الماركسي نجد أنه يتم وضع التخطيط المركزي موضع العمل من خلال إجراء معين ومتكرر ، وتتم تنظيم ملكية البروليتاريا لوسائل الإنتاج عن طريق بعض القواعد الخاصة بمبدأ الجماعية ، أي سيطرة الشعب ككل على جميع النشاطات الاقتصادية . ويعد كل من ذلك التكرار والجماعية بعضاً من القواعد الخاصة بسير عمل النظام .

ويقوم النظام بالعمل من أجل تحقيق نتيجة معينة ترتبط إرتباطاً كبيراً بالقيم وتتوقف على الأولويات الاجتماعية ، وعلى سبيل المثال ، نجد أن مثل تلك

الأولويات تقرر ما هو الأكثر أهمية ، التقدم أم عدالة التوزيع ، حرية الفرد أم استقلال المجتمع ، التنمية الإقتصادية أم الحفاظ على المبادئ الأخلاقية ، إلخ ؟ . ولذلك ، فإنه يتم تقييم أي نظام إقتصادي على أساس كفاءته في تنفيذ أولوياته وليس على أساس الأفضليات التي قد تكون غريبة على النظام والمجتمع .

٣ ـ النظام الاقتصادي الإسلامي :

أ ـ الصفات الرئيسية :

بعد أن درسنا النظام الاقتصادي ومكوناته ، فإننا سوف نكرس هذا القسم لفحص النظام الاقتصادي الإسلامي من وجهة نظر مكوناته الثلاثة : *

ولكننا قبل أن نتقدم لفعل ذلك ، ثمة نقاط جديرة بالملاحظة :

أولا : يجب أن يتم تطبيق النظام الاقتصادي بصفة تامة من أجل تحقيق النتائج التي يضعها النظام نصب عينه ؛ والتطبيق الكامل للنظام الإقتصادي الإسلامي يتطلب ، إنسجام جميع مجالات المجتمع مع متطلبات النظام الإقتصادي نظراً لأن النظام الإقتصادي وفقاً لتعريفه يتصل بالأوجه الإجتماعية المتعددة في الدولة . ويجب أن تكون جميع الأوجه الأخرى المتصلة بالنظام الإقتصادي ، متوافقة معه . فالنظام الإقتصادي الإسلامي على سبيل المثال ، يتطلب تحريم الربا ؛ ومثل ذلك التحريم يجب أن يتم فرضه من خلال التشريع والقانون ؛ وهو أيضاً يتطلب جمع الزكاة وتوزيعها بواسطة الدولة ، وذلك يستوجب وضع الدولة للتنظيمات وفرضها للقانون . ولذلك ، فإن تطبيق النظام الإقتصادي الإسلامي يتطلب وجود الانسجام بين سير عمل جميع الأجزاء الداخلة في البنيان الاجتماعي السياسي من أجل تحقيق نفس الأهداف . ولكننا لا نعني بذلك أننا من أجل أن نقوم بتطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي يجب أن نقوم في نفس الوقت بتطبيق جميع المبادئ الإسلامية ، فإن القوانين والتنظيمات والقواعد الاقتصادية ، يمكن تطبيقها بصرف النظر عن الأسلوب الذي تم اتباعه

في تنظيم بعض الأوجه الأخرى في المجتمع . فمثلاً ، إذا قبل المجتمع تحريم الربا باعتبار ذلك جزءاً من الإقتصاد الإسلامي ، فإنه سوف يتم تحريم الربا سواء تم تحريم شرب الخمر أم لا ، وسواء كان ذلك القرار قد تم اتخاذه عن طريق الشورى أو عن طريق الديكتاتورية . فمن الممكن إعتناق النظام الإقتصادي الإسلامي إذا تم تدعيمه بواسطة المجالات الأخرى المتصلة به والتي تساهم في تكوين النظام الإجتماعي ، وفي تلك الحالة سوف تكون لديه القدرة على العمل وإنتاج الثمرات ، سواء تم قبول تطبيق مبادئ الإسلام بصفة كلية أم لا ، ولكن ذلك أيضاً لا يعني أن المجتمع الذي يقبل النظام الإقتصادي الإسلامي ، بمفرده يصبح مجتمعاً إسلامياً ؛ فإنه من أجل أن يصبح المجتمع إسلامياً ، ليس من الكافي تطبيق النظام الإقتصادي الإسلامي بمفرده ؛ بل يجب تطبيق جميع المعتقدات ، والقيم ، والاجراءات ، والقواعد طبقاً لما جاء في القرآن والسنة .

ثانياً : النظام الإقتصادي الإسلامي يزخر بالقيم ، بمعنى أنه يعد هادفاً وليس حيادياً . فإنه يهدف إلى الرقى بالقيم الأخلاقية الإسلامية مثل الأخوة ، والصدق والعدالة .

ثالثا : بالرغم من أن النظام الإقتصادي الإسلامي يتأثر بمستوى تمسك الناس بالأخلاق ، وبحماسهم الديني ، فإنه لا يعتمد في سير عمله على الأفعال الإختيارية ؛ وذلك يعني أنه بالرغم من حقيقة أن النظام الإقتصادي الإسلامي قد يكون ذا مستوى أعلى للإنفاق الناقل الإختياري ، أي الصدقة ، فإن بنيانه وسير عمله لا يتوقفان على الصدقة ، بل يتوقفان على الحقائق البديهية الرئيسية والقواعد التي تظهر بوضوح في تنظيم النشاط الإقتصادي كما سنرى فيما بعد . ولذلك ، فإن السلوك الذي يتبعه النظام ليس سلوكاً دينياً ، بل إنه دنيوى إلى حد كبير .

رابعاً : النظام الإقتصادي الإسلامي يتسم بالديناميكية . ويعني ذلك أنه ليس لديه قانون جامدٌ يتناول جميع التفاصيل ، فإنه يقرر فقط الخطوط العريضة

والمبادئ الأساسية ، وتترك جميع التفاصيل ليقررها المجتمع طبقاً للظروف المتغيرة بمرور الوقت . وهو يترك الكثير من المعاملات التجارية والعلاقات بين الأفراد للعقل الإنساني حتى يتدبر فيها ويقررها على أساس المبادئ الموجودة في القرآن والسنة ، وبذلك فهو يترك الكثير من النواحي ليتم التوصل إلى قرار بالنسبة لها ، تلك النواحي التي لم يقررها الله بالتحديد ، بل تركها لتقدير الناس . ولذلك ، فإن نظام الطوائف على سبيل المثال ، وهو نظام يتعلق بنوع من الطوائف المهنية ، عندما كان سائداً في العصور الوسطى في المجتمع الإسلامي وفي شرق وجنوب البحر الأبيض المتوسط ، كان يحوز على حرية أكبر بكثير من نظام الطوائف الذي فرضه الصليبيون فيما بعد في أوروبا . لقد أدى نظام الطوائف إلى تحسين المستويات الإقتصادية ومستويات المعيشة في المجتمع الإسلامي في ذلك العصر ، في حين أن نفس ذلك النظام قد أدى إلى الركود الإقتصادي عندما أخذه الصليبيون ونقلوه إلى أوروبا ، لأنه قد طبق بطريقة جامدة وكلية تختلف عما كان طبقاً للإسلام . وهكذا ، فإن نظام الطوائف كان يتسم بمرونة ، وديناميكية أكبر في المجتمع الإسلامي عنه في أوروبا .

ب ـ النظام الاقتصادي الإسلامي :

لعلنا نستطيع تلخيص الخلفية الفلسفية لذلك النظام في نقاط قليلة . **أولها** ، أن هذا الكون من ملك الله : فإن جميع الملكية ، والثروة والموارد تعد ملكاً لله ، وأن الله ينظم تلك الأشياء بالأسلوب الذي يرضيه . ولذلك ، فإن جميع البشر يتصرفون في تلك الموارد ويكون لديهم السلطة عليها فقط بقدر ما يطبقون مشيئته وإرادته . ويعد النظام الإقتصادي الإسلامي فريداً في هذا الصدد . فإن ذلك المفهوم يختلف عن نوعي الملكية في كل من الرأسمالية والماركسية ، لأن الملاك الحقيقيين والنهائيين في الرأسمالية هم الأفراد ؛ وفي الماركسية هم البروليتاريا . أما في الإسلام ، فإن المعنى المباشر للملكية هو أن حق الإنسان بالنسبة للأشياء يعد محدداً وغير مطلق . ويقوم مفهوم الملكية هذا في الإسلام ، على أساس المذهب الأساسي القائل بأن الله هو الخالق الأوحد

لكل شيءولكل حياة وجدت في الكون . وفوق ذلك ، فإننا سوف نظهر فيما بعد أن ذلك المفهوم يضع الأساس لسلسلة من المبادئ والقواعد الخاصة بالنشاط الإقتصادي في النظام الإسلامي . **أما العمود الثاني للفلسفة الإقتصادية الإسلامية** ، فهو أن الله واحد وأن كل شيء آخر يعد من خلقه ، ويخضع له ، إن الله هو الخالق ، وكل شيء فيما عداه ، يعد من خليقته . وطبقا لذلك ، فإن جميع الناس ينحدرون من أصل واحد وجميعهم سواسية . وليس ثمة طبقات للناس ، وليس ثمة أشخاص أفضل من الآخرين ، وإن جميع الناس متساوون وليس هناك من يسمو على الآخرين . فإن الجميع سواسية . **أما العمود الثالث** ، فهو الإيمان بيوم الحساب . إن الإيمان بيوم الحساب يؤثر تأثيرا هاما على السلوك الإقتصادي . لأنه يوسع الأفق الزمني لأي مجموعة من الأعمال أو أي اختيار للسلوك ، فعندما يرغب المسلم في فعل شيء ، فإنه يأخذ في اعتباره ما هو تأثير ذلك الفعل بالنسبة للآخرة ، وإن ذلك يعني ، طبقا للمصطلحات الإقتصادية ، أن الشخص يقارن بين الفوائد والتكاليف لأي اختيار يقوم به ، ويقوم باختيار القيمة الحالية التي تؤدي إلى تحقيق نتيجة في المستقبل . وتتكون تلك النتيجة ، ليس فقط مما يأتي قبل الموت ، ولكن مما يأتي في الآخرة أيضا . وهكذا ، فإن ذلك يتجاوز نظرية دورة الحياة ، فإن الأفق الزمني يمتد ليشمل ما بعد الموت . ويعني ذلك أن أي اختيار لمسار عمل محدد في الحياة لا يؤثر فقط على المستقبل المباشر ، ولكنه يؤثر أيضاً على ما يأتي بعد الموت . وتوجد الكثير من الأمثلة في السنة وأحاديث النبي التي تشرح بعض الأوجه لذلك التأثير . فعندما قدم أبو بكر جميع ما يملك مساهمة منه في الإعداد لمعركة تبوك ، سأله رسول الله ماذا ترك لعائلته ؟ فقال إنه ترك لهم الله ورسوله . وبالتأكيد ، فإنه كان لديه من الوعي ما جعله يؤمن أنه سوف يكون أفضل حالاً بالتخلي عن جميع ما يملكه . . فطبقا لتقديره ، فإنه كان يتوقع من الله ما هو أفضل من ذلك .

ويتمثل الجزء الثاني من النظام الإقتصادي الإسلامي : في المبادئ

العامة . ويعود بنا ذلك إلى متضمنات مفهوم الملكية . ما هو نوع الملكية التي يحوز عليها الناس ؟ . إن ملكيتنا تعد نوعاً من الإنتفاع وليست نوعاً من التملك ، وهي توجد طالما يتم الإنتفاع بالشيء الممتلك طبقاً لأغراض وجوده ، ولو لم يتم الإنتفاع به من أجل تحقيق تلك الأغراض ، حينئذ فإنه قد لا يوجد الحق في الملكية وهكذا ، فإنه لو لم **يقم** الشخص في الاقتصاد الاسلامي باستنباط الفوائد من المصدر الذي يقع تحت سيطرته ، فانه لا يكون لديه الحق في الملكية ، ويطبق ذلك بصفة خاصة على ملكية الأرض . والمتضمن الثاني لمفهوم الملكية الإسلامية هو اقتصارها على حياة المالك فقط ، فإن المالك ليس لديه الحق في تنظيم التصرف في ملكيته بعد موته ؛ إذ يجب أن يتم توزيع الإرث طبقاً لما جاء في القرآن ، ولا يسمح للمالك أن يعد وصية تنتهك ذلك التوزيع الذي تحدد في القرآن وبالإضافة إلى ذلك، فإنه لن يتم اعتبار أي وصية لا تتوافق مع القرآن . ويرجع ذلك إلى أن حق الملكية يتسم بالتقيد . **وأن المتضمن الثالث** هو أنه توجد أشياء ذات أنواع معينة ليس من الممكن امتلاكها بواسطة الأفراد حتى في فترة الحياة ، مثل الموارد الطبيعية ، لأن الحق في الملكية الخاصة كما قلنا ليس بحق مطلق . فالموارد الطبيعية ، طبقاً للكثير من العلماء المسلمين ، ليس من الممكن أن تكون بمثابة ملكية خاصة ؛ لذا يجب أن تكرس جميعها لصالح المجتمع ككل .

ويتمثل المبدأ الثاني للنظام الإقتصادي الإسلامي في التوازن : ويظهر ذلك بشكل واضح وصريح في الكثير من أوجه سلوك المسلمين مثل الإعتدال ، والبعد عن الإسراف أو البخل الشديد . وإن المسرفين ، حتى بالنسبة للصدقة ، قد يطلق عليهم في بعض الأحيان كلمة السفهاء ، بالرغم من أن إنفاقهم قد لا يكون على أشياء محرمة . وحتى بالنسبة للإنفاق على الأشياء المشروعة ، فإن الإنسان يجب أن يكون معتدلاً ؛ وتتضمن فكرة الإعتدال عدم اعتبار الإستهلاك كفاية في حد ذاته ؛ ولذلك ، فإنه يجب على الإنسان أن يستهلك فقط بالقدر الذي يكون في حاجة إليه وبالقدر الملائم ، ولا يراجع الأمر

مرة أخرى من أجل أن يستهلك كمية أكبر . ونجد أيضاً مبدأ التوازن ذلك يقوم بالعمل فيما بين أشياء مثل الحرية والتنظيمات ، والملكية الفردية ، والملكية الجماعية . وبالرغم من أنه يتم إمتلاك الموارد الطبيعية بواسطة المجتمع ككل ، وامتلاك الأشياء الأخرى بواسطة الأفراد ، فإنه مع ذلك يوجد توازن بين مصالح المجتمع ومصالح الأفراد . وفي أي وقت يحدث إخلال بذلك التوازن ، فإنه يجب تصحيحه حتى عن طريق تقديم بعض الإجراءات الإصطناعية مثل تلك التي تم اقتراحها بواسطة عمر ، الخليفة الثاني ، عندما قال :

لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء .

فلعله قد شعر أن توازن النظام كان يسير تجاه الإختلال ، ومن ثم أراد استعادة ذلك التوازن . وتعد أيضاً الإمكانية لتأميم صناعات معينة أو نشاطات إنتاجية معينة واحدة من متضمنات مبدأ التوازن ، نظراً لأنها قد تكون بمثابة وسيلة لاستعادة توازن النظام .

وأما المبدأ الثالث فهو العدالة : إننا قد نصاب بالدهشة ، إذا علمنا أن كلمة العدالة هي الكلمة الثالثة من حيث تكرارها الدائم في القرآن . فإن الكلمة الأولى هي اسم « الله » ، والثانية هي « المعرفة » ، أما الثالثة فهي « العدالة ومرادفها » ، فقد تم تكرارها أكثر من ألف مرة ؛ ومفهوم العدالة يعد عميقاً جداً في الإسلام وفي قلب المسلمين إلى المدى الذي جعل ابن تيمية يقول في كتابه « الحسبة » ، إنه مثلما يعد من الظلم أن يمنع الناس من التصرف في ممتلكاتهم كما يشاؤون ، فإنه أيضاً يعد من الظلم أن يسمح لهم بتجاوز حدودهم وتوسيع دائرة حقوقهم حتى تطغى على حقوق الآخرين . ويتم تطبيق العدالة في جميع مراحل النشاط الإقتصادي . ففي الإنتاج ، تتطلب العدالة تحقيق الكفاءة ومكافحة التبديد . وفي التوزيع ، تتطلب العدالة التقييم الملائم لعوامل الإنتاج والتحديد الملائم للإيراد . وقد تتطلب العدالة أيضاً تطبيق

إجراءات معينة لإعادة توزيع الدخل من أجل تقديم نصيب عادل من الإيراد لهؤلاء الذين لم يستطيعوا الحصول عليه من خلال عمليات السوق . ويتم ذلك بواسطة الإنفاق الناقل الإجباري ، أو الإختياري المتمثل في الزكاة وغير ذلك من الواجبات المالية والصدقات .

وقد أعلن النبي :

والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن من يقضي ليله شبعان وجاره جائع .

ويتكون الجزء الثالث من النظام الإقتصادي الإسلامي من قواعد العمل . فبعد دراسة المبادئ العامة للنظام الإقتصادي ، يأتي دور قواعد العمل وهو وضع تلك المبادئ موضع عمل وتحقيق التكامل بين الوحدات الإقتصادية وتتمثل أولى تلك القواعد في الزكاة ـ فالزكاة تعدَ واجباً معيناً بفرض على حق الملكية من أجل مواجهة أغراض معينة طبقاً للقرآن . ولذلك ، فإنها ليست ضريبة تزود الدولة بالدخل بصفة عامة ، وتوزيع إيراد ذلك الواجب المالي يجب أن يوجه لواحدة أو أكثر من الثمانية طبقات التي ذكرها القرآن في السورة ٩ [التوبة] ، الآية ٦٠ التي تقول :

﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾

وتلعب الزكاة دوراً بارزاً في توزيع الدخل والثروة . ونظراً لأنها تفرض على حق الملكية وليس على الدخل ، فإنها تكون ذات نسبة أعلى بكثير من معدلها الفعلي الذي يساوي ٢,٥ في المائة إذا ما قورنت بالدخل . وتبعاً لذلك ، فإنها تعبئ جزءاً كبيراً من الدخل السنوي من أجل إعادة التوزيع ؛ ومما يفوق ذلك في الأهمية هو أثرها بالنسبة للسلوك الخاص بالإستهلاك ، فهي تؤثر على اختيار المستهلك بالنسبة لتوزيع دخله فيما بين الإدخار والإستهلاك . ونستطيع أن نوضح ذلك الدور بطريقة أفضل بعد أن نقدم قاعدتين أخريين لعمل النظام ، وهما تحريم الربا ، وشرعية الإقراض .

القاعدة الثانية المعدة للعمل في النظام الإقتصادي الإسلامي تتمثل في تحريم

الربا ، ويتمثل الربا في أي فائدة مادية تشترط على القرض ؛ وذلك بالضرورة يشمل الفائدة بجميع أنواعها وأشكالها ؛ وهو **أيضاً** يشمل المكاسب المادية **الأخرى التي تنتج عن إقراض النقود أو إقراض أي أشياء أخرى ثابتة .** وتعد الفائدة محرمة سواء كان سعرها **مرتفعاً** أو **منخفضاً** ، وسواء كانت على القروض **الإستهلاكية** أو القروض الإستثمارية ، وسواء كانت قصيرة أو طويلة الأمد . وتحريم الربا يعد في جوهره **رفضاً** لأي نوع من المعاملات التجارية التي تلقي تبعة المخاطر كلية على أحد الأطراف في حين تضمن الكسب للطرف الآخر . وهو **أيضاً** يعبر عن حقيقة أنه من أجل أن يحصل الإنسان على نصيب من الدخل ، فإنه يجب أن يشارك في عملية الإنتاج بإعتبارها **عاملاً** من عوامل الإنتاج ، أما النقود فهي ليست بعامل من عوامل الإنتاج . وتحريم الربا ، إلى جانب الزكاة وشرعية الإقراض ، يشتركون سوياً في صياغة سلوك المستهلك في الإقتصاد الإسلامي .

والقاعدة الثالثة المعدة للعمل تتمثل في الإقراض : وذلك يعد صورة من التضامن بين صاحب الموارد المالية ومتعهد الأعمال ، أي رجل الأعمال . إن رجل الأعمال ، الذي ليس لديه الموارد المالية اللازمة لمشروعاته ، من الممكن أن يدخل في تضامن يساهم فيه صاحب الموارد المالية بأمواله أو موارده على أساس المشاركة في الإيراد وفي الخسارة ، أي المشاركة في مكسب وخسارة المشروع ، وليس على أساس الحصول على دخل محدد ، مثلما هو الحال في الفائدة ، ولذلك ، فإن صاحب الموارد المالية طبقاً لذلك الأسلوب في الإقراض يعتبر **شريكاً** وليس مقرضاً . فهو شريك يتحمل تبعة المخاطرة في النشاط الإقتصادي ويهتم بتحقيق نجاحه .

وتعمل تلك القواعد الثلاثة سوياً من أجل صياغة القرار الخاص بالشخص الذي يكتسب إيراده من العمل وقرار المستهلك بالنسبة لتوزيع دخله فيما بين الإدخار والإستهلاك : وأي ادخار يرغب المستهلك في القيام به لن يؤدي إلى تحقيق إيراد مكتسب (نظراً لتحريم الفائدة) وبدلاً من ذلك فإنه سوف تتم

إعاقته بدفع الزكاة . وتبعاً لذلك ، فإن المستهلك في نهاية العام سوف يجد نفسه في حالة أسوأ . في حين أنه في نظام الفائدة سوف يكون أفضل حالاً بفضل سعر الفائدة . وفي النظام الإقتصادي الإسلامي ، عندما يدخر المستهلك ، فإنه يكون لديه الإختيار إما أن يتحمل الخسارة المتوقعة لو أنه قرر الإحتفاظ بأمواله في الخزانة أو في حساب مصرفي (فإنه لن يحصل على الفائدة) ، أو أن يضع مدخراته في استثمار مباشر . ولذلك فإن القرار المنطقي يتمثل في توجيه مدخراته للإستثمار المباشر عن طريق الإقراض لأن ذلك قد يجلب له بعض الدخل ، وإذا كانت توقعات العمل سيئة وليس هناك طلباً كافيا على مدخراته بواسطة متعهدي الأعمال ، فإن المستهلك في النظام الإقتصادي الإسلامي سوف يفضل عدم الإدخار (أو سوف يحدّ من مدخراته) لأنه سوف يفقد ٢,٥ في المائة على كل مائة دولار يدخرها ، في نهاية العام . ونستطيع أن نلخص إستنتاجنا كما يلي :

في النظام الإقتصادي الإسلامي ، نجد أن توزيع الدخل بين الإدخار والإستهلاك لا يتوقف فقط على مستوى الدخل وأسلوب معيشة الأسر ولكنه يتوقف أيضاً على توقعات الإستثمار . فإذا انخفضت تلك التوقعات ، سوف يحد المستهلكون من مدخراتهم (ويزيدون من الإستهلاك) . ولكن ذلك في حد ذاته سوف يؤدي إلى تحسين الأحوال نظراً لأنه يزيد من إجمالي الطلب . ولذلك ، فإن تضمن توقعات الإستثمار في قرار الإدخار يؤدي إلى تكوين قوى أوتوماتيكية تعمل على تحقيق التوازن في النظام .

وبالنسبة للنظام الإقتصادي القائم على أساس الفائدة وعدم دفع الزكاة ، فإن المدخرات العاطلة لا تنتقص . وفوق ذلك ، فإن المستهلك يتخذ قراره فيما يتعلق بتقرير الإستهلاك - أو الإدخار ، بشكل منعزل تماماً عن أحوال العمل وتوقعاته ، ويعني ذلك أن النظام ينقسم إلى قسمين منفصلين بمعنى أنه ليس لديه وسيلة أوتوماتيكية نابعة منه من أجل تحويل الإشارة من سوق الإستثمار إلى الإستهلاك . وفوق ذلك ، نظراً لأن الفائدة تعد كسباً للمدخر وخسارة لمتعهد الأعمال ، فإن مصالح هذين الطرفين تعد متعارضة ، في حين أنها تعد متوافقة

في النظام الإسلامي . وطبقاً للكثير من العلماء الاقتصاديين ، فإن الإنفصال بين قرار الإدخار وقرار الإستثمار هو السبب الحقيقي لتصدع النظرية الكلاسيكية المحدثة والنظام الرأسمالي .ففي هذا النظام ، يتم اتخاذ قرار الإدخار بواسطة المستهلك بشكل منفصل تماماً عن قرار الإدخار الذي يتخذه المستثمر أو متعهد الأعمال ، ونظراً لأن قرار الاستثمار يسترشد فقط بإشارة من السوق ، أي بشكل الطلب في السوق ، فإن هؤلاء الغير موظفين وهؤلاء الذين خفض دخلهم لن يستطيعوا إبداء الإشارة لأنهم ليس لديهم دخل . في حين أن تلك الإشارة ، دائما ما توجد في المجتمع الإسلامي ، نظراً لوجود مثل ذلك الإرتباط .

وأما القاعدة الرابعة المعدة للعمل في النظام الإقتصادي الإسلامي **فتتمثل في** التأمين الإجتماعي . ويتحقق ذلك بطريقتين : **أولا** : إن الزكاة تضمن حداً أدنى لمستوى المعيشة لجميع المقيمين في المجتمع الإسلامي ، وذلك الحد الأدنى بالطبع يتقرر بواسطة درجة التطور الإقتصادي وأسلوب معيشة الناس . **ثانياً** : إذا كانت إيرادات الزكاة غير كافية ، فإن الدولة الإسلامية تستطيع فرض رسوم إضافية على الأغنياء .

وأما القاعدة الخامسة المعدة للعمل فتتمثل في تأمين سداد الديون والقروض ، فإن القانون الإسلامي كما وضعه النبي ، يتطلب ضمان سداد الديون بواسطة الحكومة ، بمعنى أنه إذا كان المدين غير قادر على الإيفاء بدينه ، فإنه يكون مستحقاً للزكاة ، حتى يفي بدينه . وفوق ذلك ، في حالة الوفاة ، فإن الحكومة تأخذ على عاتقها مسؤولية سداد الديون في حالة كون الإرث المتروك غير كاف . إن ضمان سداد الديون يوفر الإستقرار والأمن في المجتمع الإسلامي .

والقاعدة السادسة المعدة للعمل هي نظام الإرث الذي يؤدي بطريقة بطيئة إلى لامركزية الثروة . ويجب أن نلاحظ أنه ليس من الممكن نقض هذا النظام بواسطة أي وصية شخصية أو قانون بشري .

أما القاعدة السابعة والأخيرة فهي تتمثل في دور الدولة في الإقتصاد . وطبقاً للنظام الإقتصادي الإسلامي ، فإن الدولة تدخل في السوق باعتبارها **منتجاً ومالكاً وموزعاً** للموارد الطبيعية ، **وأيضاً** باعتبارها كمنظم من خلال الحسبة ، فالحسبة تعد منشأة حكومية كانت سائدة في المجتمعات المسلمة فيما مضى منذ عهد النبي . وهي تعد هيئة تعمل على تنظيم السوق ، **ذلك** التنظيم الذي يضمن عدم انتهاك القواعد الأخلاقية في السوق ، وعدم تفشي الإحتكار في السوق ، وعدم انتهاك حقوق المستهلك ، أو القواعد الصحية وإجراءات الأمن . وهي دائما ما تكون مستقلة عن السلطة القضائية والسلطة التنفيذية في الحكومة .

وبعد ، فهذه المقالة تحاول أن تظهر لنا أن كل نظام إقتصادي تكون لديه فلسفته ومبادئه وقواعده الفعالة الخاصة به . وهي أيضاً تحاول تقديم الأفكار الرئيسية للفلسفة الإقتصادية الإسلامية ، والمبادئ الرئيسية للنظام الإقتصادي الإسلامي وقواعده العملية . وقد بذل الجهد طوال تلك الدراسة لمقارنة النظام الإقتصادي الإسلامي مع الماركسية والرأسمالية ، وإظهار الديناميكية ، الخاصة بالنظام الإسلامي . وإذا وجد تقصير ما في تحقيق تلك الأهداف فإنه لا يرجع إلا إلى عجز الكاتب .

البنوك الإسلامية

د . محمد نجاة الله صديقي

مقدمة

في هذه المقدمة الموجزة لنوع جديد من الأعمال المصرفية التي تتجنب الفائدة ، وجه اهتمام خاص للصيغ التي تأتي بمصدرها من الفقه الإسلامي ، ولقد تجنبنا التفصيلات التي تستدعي مناقشات فنية ، فهدفنا هو تزويد القارئ بموجز حول المؤسسات المصرفية ، وخاصة التجارية منها ، عند وضعها في إطار إسلامي ، متخذين نقطة البداية من تحريم الإسلام للفائدة ، وتوجد الآن كتابات أدبية ضخمة متاحة لنا حول هذاالموضوع ، فتجري مناقشات في الوقت ذاته حول الكثير من القضايا الجديدة المتضمنة . إن ما نعنيه بعرضنا هذا للمبادئ الأساسية هو تهيئة القارئ لتتبع هذه المناقشة بانتباه أكثر ، ونحن نرحب للغاية بأي إشتراك واسع النطاق في ذلك التفكير المتروي . ويجدر أن نثني على المجلس الإسلامي في أوروبا لاتخاذه الخطوة الأولى في هذا الصدد .

الأعمال المصرفية الغير خاضعة للفائدة ـ مقدمة :

إن المسوغ لاقتراحنا هو تحريم القرآن المطلق للربا ، الذي فسره الفقهاء المسلمون دائما بأنه يشمل جميع أنواع الفائدة ، سواء كانت خاصة بالربا أو بأي شيء آخر ، بصرف النظر عن طبيعة القرض أو الغرض منه . وقد رفض

المفسرون المعاصرون للفكر الإسلامي جميع التبريرات للفائدة ، مثلهم مثل أسلافهم ، إن الفائدة تعد شيئا غير عادل لأنها تضمن للمقرض حصة ثابتة من الأرباح ، في حين أن عوائد المشروع التجاري الذي تم استثمار رأس المال به تظل غير أكيدة ، إذ المال المكرس للمشروع يكون عرضة للفقدان ، ويجب أن يوضع ذلك في اعتبار الشخص الذي يخصص أرباح المشروع لغرض معين . والنظام الحالي الذي يجعل متعهد الأعمال مسؤولا عن جميع الخسائر ويعفي الرأسماليين من تلك المسؤولية يجب استبداله بنظام يرتبط فيه حق مطالبة رأس المال في الأرباح بالمسؤولية في تحمل الخسائر ، ومن الممكن أن يتم تقديم مثل ذلك البديل من خلال المبدأ الإسلامي **المضاربة** (mudharibah) الذي يشترك بمقتضاه كل من رأس المال والنشاط التنظيمي في أرباح المشروع ويكون كل منهما عرضة للخسائر كما سوف يأتي في الشرح . والنظام الحالي يعد متحيزاً للغاية إلى جانب الرأسماليين على حساب متعهدي الأعمال . ويؤدي وجود النسب الثابتة من الفائدة إلى إعاقة الأنشطة التنظيمية وينتج عن ذلك ارتفاع التكاليف بالنسبة للمستهلكين ، ويترتب على هذا النظام حدوث توزيع للدخل والثروة في المجتمع بأسلوب يفتقر إلى الإنصاف لأنه يأخذ الثروة بطيئاً ولكن بطريقة مطردة من الطبقات الأخرى في المجتمع ليعطيها إلى الطبقات التي تقوم بإقراض الأموال .

ومع ذلك ، فإننا لن نقوم هنا بإجراء مناقشة تفصيلية ونحن بصدد معارضتنا للفائدة ، بل سوف نتناول تحريم الفائدة كقضية مسلم بها ، ثم نعمل على وضع نظام للأعمال المصرفية غير خاضع للفائدة ، وسوف نفترض وجود اقتصاد مغلق ونستبعد العلاقات المالية الدولية من تلك الدراسة التمهيدية بغرض التبسيط . والنظام المقترح يستعيض عن الفائدة بمبدأ **المضاربة** (المشاركة في الأرباح) كأساس لكل من الودائع والقروض ، ويتم تنظيم أنشطة البنوك التجارية عن طريق البنك المركزي الذي يتحكم في الودائع ويشرف على النظام النقدي ، بالرغم من عدم وجود سعر الخصم كأداة في متناوله ، وإلى جانب

القروض التي تقوم على أساس المشاركة في الربح ، فإنه يتم أيضاً إتاحة الفرصة لرجال الأعمال للحصول على القروض قصيرة الأجل المعفاة من الفائدة ، وتعتبر ودائع الطلب الخاصة بعامة الناس مصدر تلك الاعتمادات المالية القابلة للقرض . وتعتبر ودائع الطلب بمثابة قروض يتم سدادها عند الطلب ، ولا يتم توزيع أية أرباح على هؤلاء المودعين . ويأتي تمويل الحكومة بصفة رئيسية من عامة الناس على أساس المشاركة في الربح ويأتي بصفة جزئية من القروض المعفاة من الفائدة ، وتقوم الأوراق المالية المتضمنة في تلك العملية بتزويد البنك المركزي بوسائل تنظيم العرض بالنسبة للنقد في إطار ذلك النظام . وفيما يتعلق بالتمويل بالنسبة للمستهلك ، فإن للبنوك دوراً محدوداً في هذا الشأن .

إن **المضاربة** في شكلها المبسط تعتبر عقداً بين طرفين ، أحدهما يقوم بتقديم قيمة رأس المال ولكنه لا يقوم بدور إيجابي في المشروع الذي يقوم بإدارته الطرف الآخر ، الذي لم يستثمر أي رأس مال ، ويوافق الطرف الذي يساهم بالعمل على التخلي عن جزء معين من أرباح المشروع للطرف الذي يقوم بتزويد رأس المال والذي يأخذ على عاتقه جميع مسؤولية التعرض لأية خسائر . وفي حالة حدوث أية خسائر ، فإن الطرف الذي يساهم بالعمل يذهب بدون مكافأة عن خدماته التنظيمية ، أما في حالة تحقيق الأرباح فإنه يحصل على نصيب منها كمكافأة له . إن سوء إدارة الاعتمادات المالية المخصصة للعمل أو انتهاك الخطط المتفق عليها لسير العمل يعرض الطرف الذي يساهم بالعمل إلى تحمل مسؤولية الخسائر الناجمة . ويكون لكل من الطرفين الحرية في إنهاء العقد في أي وقت بشرط أن يكون في الإمكان تصفية العمل دون خسائر وتحويل الموجودات مرة أخرى إلى نقد ، وتعتبر العقود التي تنص على فترة محدودة من الوقت شرعية وملزمة بالنسبة للأطراف المتعاقدة .

ومن الممكن ان يتكون أي من الطرفين من عدد من الأشخاص . ويستطيع الطرف الذي يساهم بالعمل أن يستثمر رأسماله أو رأس المال الذي اقترضه من الآخرين ، أو رأس المال الذي حصل عليه من جهات أخرى ، على أساس

المضاربة . وتقع مسؤولية الخسارة في جميع الحالات على عاتق من يمتلك رأس المال ، إلا في حالة القرض فان المقترض يقع على عاتقه تلك المسؤولية . ويتم توزيع الأرباح طبقا للصيغة التي تم الإتفاق عليها ، بشرط عدم تأكيد الحصول على ربح معين بصرف النظر عن نتائج المشروع ، وينطبق ذلك على الطرفين .

وفي حين تعتبر **المضاربة** ، أساس العلاقة بين الصيرفي ـ والمودع ، والصيرفي ـ ورجل الأعمال ، فإن البنك ذاته يقوم على أساس الشركة[1] ، فيقوم عدد من الأشخاص بتزويد رأس مال الأسهم معلنين موافقتهم على المشاركة في جميع الأرباح والخسائر بنسبة رأس المال الذي قدموه[2] . . وبالرغم من وجود مجلس يقوم بإدارة البنك بمعاونة الموظفين ذوي الرواتب ، فإنه من المعتبر من الناحية النظرية أن جميع الأطراف قد شاركت في إتخاذ جميع القرارات المتعلقة بسياسته . ونظراً لأنَ القروض المصرفية تتضمن القروض من عامة الناس (ودائع الطلب) فإن مسؤولية المساهمين فيها لا تقتصر على مدى إسهامهم ، وعلى عكس ذلك ، تقتصر مسؤولية المودعين في (الحسابات الإستثمارية على حجم ودائعهم . وكنتيجة طبيعية لذلك النص ، فإنه لا يسمح لرجال الأعمال الذين يحصلون على قروض من البنك على أساس **المضاربة** بالحصول على قروض طويلة الأجل باسم المشروع . ولكنهم يفعلون ذلك بصفتهم الشخصية كما ذكرنا فيما سبق .

الاستثمار :

تتمثل الأعمال الرئيسية للبنك في تزويد الأطراف المشتركة في العمل بالمال لتشغيله في التجارة ، والصناعة والزراعة . الخ ، وتتمثل إيراداته بصفة رئيسية في نصيبه من أرباح تلك المشروعات ؛ وقد يتعامل البنك أيضا بالأسهم

---

(١) ـ تستطيع الحكومة أيضا أو أي فرد إنشاء بنك يقوم بتزويد رأس المال بأكمله . ولكننا لا نناقش تلك الحالات الإستثنائية لأسباب لسنا في حاجة لذكرها

(٢) في حين تعد المشاركة النسبية في الخسائر ملزمة ، فإنه يكون لدى المساهمين الحرية في المشاركة في الأرباح بطريقة غير نسبية ولكننا لن نناقش الإحتياج الى ذلك أو الرغبة فيه بغرض التبسيط .

والأسهم العامة التي تصدرها شركات خاصة أو الحكومة ، وهو أيضا يقوم بأداء خدمات مصرفية مقابل رسم أو عمولة ، مثل الحفاظ على الودائع بأسلوب آمن ، وتحويل مبالغ مالية من مكان إلى مكان ، وإصدار الشيكات السياحية ، والقيام بتسليم البضائع نيابة عن العملاء ، وتقديم المدفوعات لهم والعمل كوصي أو مستشار مالي للعملاء الخ .

ورأس المال المقدم في شكل قرض على أساس المشاركة في الربح (ووقوع الخسارة على البنك) يكون ذا استمرار متوسط أو طويل الأجل . ولكن نظراً إلى التزامات البنك تجاه المودعين في (حساباته الإستثمارية) فإن من الضروري أن يكون بالإمكان تقييم أرباحهم بصفة دورية . وبغرض التبسيط ، سوف نفترض أن البنوك تحصل على بيانات فصلية بالحسابات من عملائها التجاريين الذين قد يكونون ملزمين أيضا بإعادة رأس مال البنك مع نصيبه من الأرباح (أو الخسائر) ؛ ولكن إذا لم يكن هناك اتفاق على اتباع أسلوب آخر ، فإن البنك يكون لديه الحرية بالنسبة لتجديد العقد ، آخذاً فقط نصيبه من الأرباح الفصلية . (التي سوف نفترض أنها تكون نصف الأرباح الإجمالية المتراكمة بالنسبة لرأس المال المقدم) أو إنهاء العقد .

وسوف تضمن سياسة التنويع في استثمارات أرصدة البنك الحصول الدائم للبنك على بعض الأرباح من عملائه التجاريين ككل . ويتكون إيراد البنك من تلك الأرباح إلى جانب الأرباح التي حاز عليها من سوق الأسهم ، والدخل الناتج عن الخدمات التي تم أداؤها . وبعد الإيفاء بنفقات الأعمال المصرفية سوف يتم توزيع صافي الأرباح على المساهمين والمودعين في (الحسابات الإستثمارية) طبقا لأسلوب متفق عليه .

الودائع :

يقوم البنك بإدارة حسابات جارية و (حسابات إستثمارية) ويتم استلام الودائع من الأشخاص ووضعها في الحساب الإستثماري على أساس **المضاربة** .

والبنك باعتباره كالطرف الذي يساهم بالعمل بالنسبة لهؤلاء المودعين ، فإنه يعدهم بدفع جزء محدد ، ولنقل ثلاثة أرباع الأرباح المتراكمة لديه على إستثماراتهم . أما بالنسبة للربع الباقي من الأرباح الذي يتراكم على رأس مال المودع ، فإن البنك يحتفظ به كنصيب له . وتقوم البنوك باستثمار رأس مال المودعين هذا مع رأس المال الخاص بها (نصيبها) بالأسلوب الذي ذكرناه هنا . وقد تكون نتيجة إستثمارات البنك الإجمالية تناسبية في شكلها (مثلا إذا كانت هناك ٣ في المائة خسارة على إستثمارات البنك الإجمالية تكون هناك ٣ في المائة خسارة للمودع ايضا) .

وتتم الإيداعات في الحسابات الإستثمارية على أساس الفصول ويتم تسديد الحسابات بصفة فصلية ، ويكون لدى المودع الحرية في أن يقفل حسابه أو يجدده لفصل آخر بعد استلامه لأرباحه (أو خسائره) بالنسبة لذلك الفصل[1] ، وليس من الممكن إخضاع تلك الحسابات لنظام الشيكات ؛ والسحب قبل إتمام الفصل سوف يحرم المودعين من الأرباح عن الفصل بأكمله إلا إذا وافق البنك على تقديم بعض التنازل . ونظراً لأن البنوك الغير خاضعة للفائدة سوف تحصل على سيطرة تامة ، فإنها تستطيع أن تسمح بالايداع والسحب في أثناء الفصل ، أو حتى تسمح بنظام الشيكات بالنسبة لتلك الودائع . ولكن من الصعب أن نتعهد بتلك النقطة مقدما .

والودائع في الحسابات الجارية سوف تتم معاملتها كقروض مقدمة من العامة إلى البنوك ، وستكون تلك القروض قابلة للسداد عند الطلب ، وسوف يضمن البنك المركزي إتمام سدادها على أكمل وجه ، بصرف النظر عن مصير البنك الفردي . وستكون تلك الودائع خاضعة لنظام الشيكات ، ولن يتم فرض أي رسوم خدمات عليها : وباعتبار أنها تعد قروضا ، فإن البنك سوف تكون لديه الحرية في توظيفها في مشروعاته التجارية ، وسوف يمكنه وجود

(١) من الممكن تسديد الحسابات شهريا ، أو كل ستة شهور أو سنويا . ولا ترتبط أي حرمة بالأساس الفصلي الذي يتم اتخاذه . ولكنه يبدو أنه يشكل منتصف الطريق بالنسبة للإختيار . ومع ذلك فإنه مما له أهمية أن يكون هناك حد أدنى معقول من الوقت لا يمكن سحب تلك الودائع قبل مروره .

إحتياطي جزئي من الإيفاء بجميع الشيكات كما هو الآن .

القروض قصيرة الأجل :

بالنظر إلى حقيقة أن الإحتياطي الجزئي يكفي للإيفاء بطلبات المودعين من النقد مقابل ودائع الطلب . فإن البنك المركزي سوف يرغم البنوك التجارية على أن تخصص جزءاً من ودائع الطلب الباقية لتقديم قروض قصيرة الأجل ومعفاة من الفائدة . ومن الممكن استثمار الجزء الآخر مع رأس مال الأسهم وودائع الحسابات الإستثمارية في المشروعات المربحة .

ومما يجعل ذلك الأمر ضرورياً حقيقة أن القروض القائمة على أساس المشاركة في الربح لا تستطيع الإيفاء بحاجات المشروع من التمويل قصير الأجل ، ونادراً ما يكون في الإمكان ، إعداد حساب بالأرباح ـ والخسائر بالنسبة للمبالغ التي يتم الحصول عليها لأيام قليلة ، أو حتى لأسابيع قليلة بغرض التغلب على الصعوبات المالية المؤقتة . وفوق ذلك ، فإنه يكون من الممكن تقديم تلك القروض بسهولة من الإعتمادات المخصصة لذلك الغرض نظراً لأن معظمها ذو طبيعة تصفية ذاتية . وبالإضافة إلى القروض قصيرة الأجل التي تقدم للمشروعات التجارية ، فمن الممكن أيضا تقديم تسهيلات فرط السحب إلى المودعين وتسهيلات قصيرة الأجل إلى الحكومة من نفس المصدر ، وسوف نفترض فقط على سبيل المثال أن البنوك تكون ملزمة بأن تخصص خمسين في المائة من ودائع الطلب لتقديم قروض معفاة من الفائدة . ولن يسمح للبنك الذي يرفض القيام بذلك بإدارة الحسابات الجارية لعامة الناس .

وسوف تقتنع البنوك بأن تفعل ذلك بإرادتها لعدد من الإعتبارات . **أولا :** سوف يقوم البنك المركزي « بإعادة التمويل » استعدادا لمواجهة القروض المعفاة من الفائدة التي قدمتها البنوك التجارية كما سيأتي في الشرح . **ثم سوف يكون هناك** إغراء بإمكانية توظيف ودائع الطلب الباقية (الإحتياطات السلبية) في الإستثمارات المربحة ، **وأخيراً** حقيقة أن ازدياد ربح المشروع الذي يستخدم

قروضاً معفاة من الفائدة سوف يؤدي إلى تعزيز نصيب البنك ذاته من تلك الأرباح . وسوف يتضح أن ذلك يعد أحد الإعتبارات الهامة في النظام الإقتصادي الذي تمول فيه معظم المشروعات بواسطة رأس المال المحصل منَ البنوك على أساس المشاركة في الربح .

وفيما يتعلق بتوزيع تلك الاعتمادات المالية القابلة للقرض بين طالبيها ، فقد يعتبر رأس المال طويل الأجل الذي تستثمره الشركة الطالبة كأساس للتوزيع ؛ ويبدو أنه من المعقول أن نفترض أن احتياجات الشركة أو الصناعة من التمويل قصير الأجل تعد دلالة على استثمار رأس مال طويل الأجل بها ، وسوف تختلف قيمة تلك الدلالة في القطاعات الإقتصادية المختلفة ، ولكنها من الممكن استنباطها بسهولة . **ثانياً** : قد يسمح للبنوك بإعطاء الأولوية إلى عملائها ، وسوف يعتبر أيضا نوع الضمان المقدم والسمعة الحسنة للطرف المعنى عاملاً حاسما . وازدياد الطلب عن العرض بالنسبة للإعتمادات المالية القابلة للقرض سوف تتم إزالته عن طريق خفض (مدى) تلك التسهيلات وتطبيق مقاييس أكثر صرامة بالنسبة لتقييم الحاجات وقبول الإستثمارات . ووجود التفاوت المتواصل بين الطلب والعرض سوف يستدعي مراجعة الحصة المخصصة للسلفيات ـ أي نسبة الإعتمادات القابلة للقرض إلى ودائع الطلب الإجمالية ـ بواسطة البنك المركزي .

وفي حين أنه لن يتم فرض أية فائدة على تلك القروض ، فإنه سوف يتم الحصول على تكاليف إتخاذ القرارات والحفاظ على الحسابات عن طريق فرض رسوم بالنسبة للقروض و/ أو التقييد في الدفاتر .

الاحتياطي :

سوف تحتفظ البنوك باحتياطي جزئي في مقابل إجمالي ودائعها ـ أي الودائع الإستثمارية وودائع الطلب ـ ، فلنفترض أن ذلك الكسر يساوي عشر ، حينئذ سوف تضطر البنوك لأن تحتفظ بجزء من احتياطيها ، ولنقل النصف ، لدى

البنك المركزي ، أما باقي الإحتياطي بالإضافة إلى الودائع التي قدمت أخيراً ، فإنه سوف يمكن البنوك من الإيفاء بجميع الشيكات بالنسبة للودائع المتدفقة ، بأن تقوم بالدفع لهؤلاء المودعين في الحسابات الإستثمارية الذين توافق على السماح لهم بالسحب قبل إتمام الفصل . وفيما يتعلق بالسحب عند إتمام الفصل ، فإنها لن تواجه أية مشكلة لأن تلك الودائع التي سحبت سيتم ملء فراغها بودائع جديدة . وفي حالة عدم حدوث ذلك ، فإن البنوك سوف ترفض تجديد بعض القروض المقدمة إلى القائمين بالمشروعات التجارية حتى تستطيع الإيفاء بالتزاماتها بالنسبة للمودعين .

ونستطيع أن نتعرف على سير عمل البنوك التجارية بنظرة عاجلة ، تقوم البنوك باستلام ودائع في الحسابات الجارية والحسابات الإستثمارية ، وباحتفاظها بـ ١٠ في المائة كاحتياطي وتخصيصها ٥٠ في المائة من ودائع الطلب لغرض تقديم القروض المعفاة من الفائدة ، فإن البنوك تستغل الأرصدة الباقية إلى جانب رأس مال الأسهم المقدم بواسطة الشركاء في تقديم قروض على أساس المضاربة ،وشراء الأسهم العامة وتنظيم الخدمات المسددة للإيراد . .وعند إعداد الحسابات الفصلية ، يتم تجميع الأرباح التي تأتي من المصادر العديدة وتوزيعها على إجمالي رأس المال المستثمر ، بما في ذلك الإحتياطي (ولكن باستثناء الأرصدة المخصصة لتقديم القروض المعفاة من الفائدة) . ويتم تقييد ثلاثة أرباع حصة الأرباح الناتجة في الحسابات الإستثمارية ، وتوزع باقي الأرباح فيما بين المساهمين ، وإذا حدث وكان هناك صافي خسارة في المشروع التجاري الخاص بالبنك ، فإن المساهمين يتحملون الخسائر بالنسبة لرأس المال الخاص بهم إلى جانب الخسائر بالنسبة لخمسين في المائة من ودائع الطلب التي كانوا يستغلونها . ويتحمل المودعون في الحسابات الإستثمارية الخسائر التي تتراكم على الودائع الخاصة بهم ؛ ويتم تقدير نسبة الخسائر بنفس الأسلوب الذي يتم به تقدير نسبة الأرباح . وبالرغم من حقيقة أن الودائع والسحب بالنسبة للحسابات الإستثمارية تقوم على أساس فصلي ؛ فإنه يتم ضمان استمرار

أعمال البنك بمقتضى حقيقة أنه يتم تجديد معظم الودائع وترد ودائع جديدة مكان تلك التي تم إغلاقها . ومن الممكن أن تسمح البنوك بالإيداع والسحب أثناء الفصل بعد أن تقوم بتدبير وسائل ملائمة لتسوية حسابات الربح ـ الخسارة بالنسبة للفصل الغير مستكمل ، وبنفس الأسلوب ، فإن البنوك قد لا تتبع دائما جدولاً زمنياً صارماً في تعاملها مع الأطراف التي تقوم بالعمل ، ومن ثم تقدم القروض وتسمح أيضا بسدادها أثناء فصل الثلاثة شهور بشرط أن يكون من الممكن تقييم النتائج الواقعية للمشروع بطريقة مرضية للأطراف المعنية .

تقديم القروض :

سوف تقوم البنوك التجارية بتقديم قروض مثل نظيراتها في النظام الحالي* عند اتباعها لذلك النظام ، ويعتمد تقديم البنوك للقروض على عادات الناس بالإحتفاظ بإيراداتهم ومدخراتهم في شكل ودائع مصرفية وتأدية معظم مدفوعاتهم من خلال الشيكات ؛ ويمكن ذلك البنوك من الإيفاء بطلبات الناس من النقد عن طريق الإحتفاظ باحتياطي جزئي مقابل ودائعهم . ولا يتصل ذلك على الإطلاق بالفائدة ، ولا يوجد أي سبب لأن يكون لإلغاء الفائدة تأثير « شديد » على عادات الناس التي ذكرناها . وبما أن البنوك سوف تقدم قروضا على أساس **المضاربة** . وتقدم قروضها قصيرة الأجل ، فإن ودائعها سوف تزداد ، وسيمكنها ذلك من تقديم قروض جديدة ؛ وسوف تتسع القروض في نطاق الحدود التي يفرضها معدل الإحتياطي وفي نطاق طلب المشروع التجاري من التمويل ؛ وسوف يؤدي الايفاء بالديون إلى خفض الودائع لدى البنوك ، ويؤدي الى تزعزع مواقفها بالنسبة للإحتياطي وإلى إزدياد إنكماش القروض نظراً لأن البنوك ستحاول تعويض إحتياطيها عن طريق استعادة قروضها وبيعها الأسهم العامة التي في حيازتها . وكما هو الأمر في النظام الحالي ، سوف يتعرض حجم القروض الإجمالي للتقلب نظراً لتغيير احتياطي البنوك من النقد نتيجة للتغيير في الطلب عليه أو نتيجة لتغيير سياسة البنك المركزي . وسوف تظل تلك العملية كما هي بمقتضى حقيقة أنه بدلاً من دفع الفائدة في الوقت

المحـدد فإن بنـوك الايداع سوف تشرك هؤلاء المودعـين في أرباحهـا ، أو أن القروض المقدمة للمشروعات التجارية سوف تقـوم على أسـاس المشـاركة في الأرباح بدلا من دفع الفائدة الثابتة . أما بالنسبة لما إذا كان من المحتمـل أن يؤدي ذلك التغيير إلى التأثير على إجمالي حجم الودائع المصرفية ، فتلك قضية سوف نناقشها قرب نهاية دراستنا .

الاحتياطي المخصص لتعويض الخسارة :

إن نجاح البنوك في اجتذاب المدخرات إلى حساباتهـا الاسـتثمارية سوف يعتمد بصفة كبيرة على أسلوب تعاملها بالنسبـة لتـوزيع الأربـاح على هؤلاء المودعين . وإنه لمن المستحسن تكوين أرصدة احتياطية ، عن طريق الإحتفاظ بجزء من الأرباح حتى يتم تفادي إعلان الخسائر بالنسبة لأي فصل أو لتعويض الخسائر عند حدوثها ، وأيضا من أجـل تجنـب التقلبـات الواسعـة في معـدل الأرباح . ومن الممكن فعل ذلك بالنسبة لكل من المودعين والمساهمـين (أي الشركاء الذين يقدمون رأس المال الأولي) . . . ومن الممكن أن يستمر البنك في دفع أرباح الأسهم بسعر فصلي ثابت ، بشرط أن يتـم إدراج رصيد توازن جانبي الحساب (سواء كان إيجابيا أو سلبيا) في الحسابات الملائمة في حالة قفل أحد المودعين لحسابه أو في حالة تخلي أحد المساهمين عن الشركة . ومن الممكن بلوغ تلك النسبة الثابتة في ضوء الخبرة السابقة ويكون من الممكن تعديلها عند تغيير الأحوال .

وتظهر قضايا جديدة فيما يتعلق بتأمين العدالة للمودعين والمساهمين الذين يظلون مع البنوك لفترات مختلفة من الوقت . ونأمل أن نجد حلاً لتلك القضايا بما يرضي جميع الأطراف المعنية وطبقاً للنصوص الملائمة في الفقه الإسلامي .

البنك المركزي :

سوف يكون البنك المركزي هو المرشد بالنسبة للبنوك التجارية وسوف يقوم بالاشراف على أنشطتها بغرض تأمين الإستقرار والنمو الإقتصادي . وسـوف

يقوم بالعمل طبقاً للقواعد التي تضعها الدولة ، فيتولى إصدار وإدارة العملة في الدولة ، ويتحكم في القروض المصرفية ويوجه الأرصدة القابلة للإستثمار إلى الأوجه المرغوبة ؛ وهو يقوم بذلك عن طريق النصح ، والإقناع ، أو إصدار التعليمات إلى البنوك التجارية فيما يتعلق بالأمور الهامة الخاصة بسياستها ، وسوف يقوم أيضا بتوظيف عدد من الوسائل القوية ، لتنظيم حجم قروض البنوك وتوزيعها .

وسوف تضطر جميع البنوك التجارية لأن تحتفظ بخمسة في المائة احتياطيا مقابل إجمالي ودائعها في شكل ودائع لدى البنك المركزي (وإن الخمسة في المائة الباقية من الإحتياطي سوف يتم الإحتفاظ بها بواسطة البنوك ذاتها) . وسوف يستخدم التغيير في معدل الإحتياطي كأداة من أدوات السيطرة كما هو الأمر في النظام الحالي ، وبالنظر إلى عدم إتاحة (سياسة سعر الخصم) للبنك ، فإنه يمكن اللجوء إلى تلك الأداة في كثير من الأحوال . وحتى في النظام الحالي ، تضطر بعض البنوك المركزية لفعل ذلك بالنظر إلى عدم الكفاءة النسبية لسياسة الخصم الخاصة بالبنوك .

وسوف يقدم البنك المركزي تسهيلات خاصة (بإعادة التمويل) مقابل القروض المعفاة من الفائدة التي تقدمها البنوك التجارية ، إذا ما احتاجت تلك البنوك لنقد إضافي للحفاظ على السيولة ، وتتحدد مدى التسهيلات المقدمة بواسطة البنك المركزي بالتناسب مع القروض التي تقدمها البنوك التجارية . مثلاً ، إذا كانت (نسبة إعادة التمويل)، تلك بمقدار ٢٥ في المائة ، سوف تكون تلك القروض معفاة من الفائدة وستكون قصيرة الأجل وقابلة للتجديد . ويستطيع البنك المركزي عن طريق إحداث تغييرات ملائمة في (نسبة إعادة التمويل) ، أن يقوم بمساعدة البنوك التجارية في الحفاظ على سيولتها في مواجهة التغيير في طلبات الناس من النقد . ومن الممكن استخدام نفس الأداة في مواجهة المواقف التضخمية للخفض من حجم القروض .

ويتم تزويد وسائل التحكم في القروض الإختيارية عن طريق تحديد نسب

مختلفة (لإعادة التمويل) طبقاً للأنواع المختلفة من القروض وإذا تم منح نسبة عالية مقابل القروض الممنوحة لصناعة معينة فإن ذلك سوف يحث البنوك على تقديم قروض أكثر لتلك الصناعة **والعكس بالعكس** .

ومن الممكن أن يحل شراء وبيع الأسهم الصناعية محل (عمليات السوق المفتوحة) بالنسبة للإستثمارات بشرط توفر الأسهم ذات الأسعار المستقرة نسبيا بكميات كبيرة . وهذه تكون في شكل أسهم مصدرة بواسطة الحكومة لتمويل مشروعات القطاع العام ، كما سوف نشرح . وسوف يتمكن البنك المركزي عن طريق تلك الأداة من تنظيم عرض النقد بغرض تنظيم القروض .

السلطات الواسعة التي يتمتع بها البنك المركزي والمعرفة السائدة بأنه يستطيع دائما فرض قراراته ، إلى حد وضع تشريعات جديدة بواسطة الدولة ، إذا استلزم الأمر ، تجعل (الإقناع الأخلاقي) ، واحداً من أقوى أسلحة البنك المركزي حتى في النظام الحالي ؛ والمجتمع الذي يكون لديه درجة عالية من الإدراك الإجتماعي والشعور بالتكريس لخير الأمة من الممكن أن يعتمد على تلك الأداة إلى حد كبير ؛ وسوف تضمن الإستشارات المتبادلة والتعاون بين سلطات البنوك المركزية والبنوك التجارية سير عمل ذلك النظام بطريقة متسقة تهدف إلى صالح المجتمع .

تمويل الحكومة :

المالية العامة في النظام الإقتصادي الغير خاضع للفائدة سوف تطرح أمامنا مشكلة خاصة ؛ فإنه سوف يتم فرض الضرائب للإيفاء بالنفقات الحكومية المعتادة ؛ وعند توفر الثقة في الوضع الإقتصادي ، قد تلجأ الدولة إلى زيادة مصروفاتها على دخلها إلى حد ما ، ولكن ذلك لن يفي باحتياجات أنشطة التنمية الواسعة من التمويل في دول الرفاهية الحديثة . ونحن نقترح أن تقوم الدولة بإصدار ثلاثة أنواع من الأوراق المالية ، وتبيعها للناس كوسيلة للحصول على الموارد المالية التي تسد احتياجاتها ، وتقوم تلك الأوراق على أساس

المشاركة ، و **المضاربة** ، والقروض المعفاة من الفائدة وتكون جميعها مصاحبة بالامتيازات الضريبية .

وسوف تتولى الدولة إدارة المشروعات العامة الملائمة بالإشتراك مع الأفراد ؛ ويتم جمع رأس المال الخاص بتلك المشروعات من خلال بيع الحصة الكبرى من الأسهم ؛ التي ستقوم الدولة بشرائها حتى تحوز على السيطرة الفعلية . وستعتبر **الأسهم التي تقوم على أساس المشاركة** حجج ملكية ؛ وتكون قابلة للتحويل والتسويق ، ويتم توزيع الأرباح سنويا على هؤلاء الذين تكون الأسهم في حوزتهم في اليوم الأخير من العام ؛ وسوف يتم تقييم الأرباح على أساس الزيادة في القيمة الإجمالية على مدى العام . ومن الممكن أن يتم توزيع الأرباح بطريقة تناسبية . وسيكون المساَهمون مسؤولين عن الخسائر المتراكمة بالنسبة لرأس مالهم ولكن سوف يكون من الممكن أو من الواجب استبعاد احتمال الخسارة بالنسبة للمشروعات العامة من خلال إيجاد الإدارة الكفؤة والسياسات التسعيرية الملائمة الخاصة بالمشروعات العامة .

وسوف تقوم الدولة أيضا بالحصول على الموارد المالية القابلة للإستثمار عن طريق بيع **الأسهم القائمة على أساس المضاربة** ، التي تكون ذات فئة نقد أقل نسبياً وذات أجل أقصر ؛ وسوف يتم استثمار تلك الموارد بطرق متنوعة في المشروعات العامة المناسبة . وتقدم الدولة جزءاً معينا من الأرباح ، ولنقل ٦٠ في المائة إلى المساهمين . وسوف تكون تلك الأسهم بمثابة حجج بالملكية ، وهي ستنص فقط على أن المساهم قد استثمر قدراً معينا في المشروعات التي تمتلكها الدولة ، وأنه يكون من حقه الحصول على ٦٠ في المائة من الأرباح المتجمعة بالنسبة لرأس ماله ، وأنه سيتحمل الخسائر عند حدوثها . ولن تكون تلك الأسهم قابلة للتحويل . وسوف تقوم الدولة بدفع أرباح تلك الأسهم عند أو بعد حلول تاريخ معين . ومن الممكن أن يتم ذلك على أساس الفصول . ويستطيع المساهم أن يسحب رأس ماله مع الأرباح (أو الخسائر) عند إتمام الفترة المحددة المدونة في صك الأسهم ، ويكون من المستحسن حيازة أسهم

مختلفة في قيمتها ، أي بعضها ذو قيمة كبيرة وبعضها ذو قيمة صغيرة ، وأن تكون أيضا ذات مدد مختلفة . وسوف تقوم هيئات مثل البنوك التجارية ، والخزائن العامة ومكاتب البريد بتولي بيع وصرف تلك الأسهم بغرض تسهيل تداولها بين الناس .

ويجب أن تكون الصناعات التي يتقرر تمويلها من خلال رأس المال القائم على أساس المضاربة مليئة بعمليات إنتاجية قصيرة الأجل حتى يكون من الممكن عمل تقييم دوري للأرباح ؛ وإذا تعذر ذلك ، فسوف يقوم إعلان أرباح الأسهم على أساس تقدير القيمة الصافية . وبالنسبة لرأس المال القائم على أساس المشاركة ، فإنه يمكن إستخدامه في المشروعات طويلة الأجل نسبيا . أما بالنسبة لتلك الإستثمارات طويلة الأجل مثل مشروعات الري الضخمة والقوى الذرية ، فمن اللازم تدبير بعض الوسائل الأخرى الخاصة بها .

ويوجد لدينا من الأسباب ما يدعو للإعتقاد أنه في الإستطاعة تأكيد معدل الأرباح الذي لا يقبل المزاحمة للمستثمرين في مشروعات الدولة. وتقوم الدول الحديثة بتمويل تلك الصناعات برأس مال مقترض على أساس الفائدة ، ومع ذلك فإنها تكون قادرة على إدارتها بطريقة مربحة .

ويتم الحصول على التمويل بالنسبة لمشروعات الإنعاش والصناعات الدفاعية الغير مسددة للأرباح من خلال الضرائب بصفة رئيسية ، وقد يكون أيضا للقروض المعفاة من الفائدة والمحصلة من العامة دور في تلك المساهمة . وتوجد الحاجة إلى القروض أيضا للإيفاء بمثل تلك الإحتياجات قصيرة الأجل من التمويل لأن تلك الإحتياجات ليس من طبيعتها إمكانية الإيفاء بها عن طريق رأس المال القائم على أساس المشاركة في الأرباح . ومما يسبب تلك الحاجة أن معظم إيراد الدولة يأتي في خلال فترات جباية الضرائب في حين يكون إنفاقه موزعاً على مدى العام. ويتم الإيفاء بتلك الحاجة في الوقت الحالي

عن طريق إصدار أذونات على الخزانة قصيرة الأجل . وفي النظام الإقتصادي الغير خاضع للفائدة ، يكون من الممكن إصدار **شهادات القروض** ذات الفئات المختلفة وذات المدد المختلفة لهذا الغرض ؛ وسوف تكون تلك الشهادات قابلة للدفع بالسعر الأصلي عند حلول أو بعد حلول تواريخها المستحقة في مكاتب البريد ، والبنوك ، والخزائن العامة ، إلخ . ونظراً لاستبعاد جميع احتمالات التقصير ، سوف يقوم هؤلاء الذين يهتمون فقط بالأسهم المضمونة القائمة على أساس المشاركة باستثمار جزء من أرصدتهم بها ، وسوف يضطر البنك المركزي لأن يقوم بشراء الأسهم القائمة على أساس المشاركة بكميات كبيرة حتى يستخدمها في (عمليات السوق المفتوحة) . وقد يجد أنه من الضروري أن يقوم بشراء وامتلاك كمية متزايدة من الأسهم القائمة على أساس **المضاربة** بغرض زيادة العرض بالنسبة للنقد في النظام الإقتصادي بمعدل متكافئ مع معدل النمو . وإلى جانب البنوك ، فإن الوسطاء الماليين الآخرين مثل **جمعيات** البناء ، والتنظيمات المالية المقتصدة ، وشركات التمويل التأجيري تجد أن من المرغوب فيه استثمار مواردها في تلك الأسهم .

التمويل بالنسبة للمستهلك :

تزويد المستهلك بالموارد المالية ليس بواحد من الأدوار الرئيسية للبنوك ، ومع ذلك ، فإن من الملائم تقديم تسهيلات فرط السحب إلى المودعين في الحسابات الجارية بشرط وضع حد أقصى يقوم على أساس متوسط أرصدتهم الشهرية ، ومن الممكن أن تعرض البنوك أيضاً (تقسيط دفع الصفقات) مثلما تفعل بالنسبة لكمبيالات التجار .

وسوف تتم معاملة جميع ذلك بنفس أسلوب معاملة القروض المعفاة من الفائدة ، وسوف يقتصر ذلك على الحدود التي تتاح فيها إمكانية إقامة تلك القروض .

ويجب إيجاد الضمان التام لسداد القروض المصرفية في النظام الغير خاضع للفائدة وإلا فإن ذلك النظام لن يقدر له النجاح . وبالإضافة إلى جميع رقابة

القانون والممارسات المصرفية في هذا الشأن ، فإن ذلك الضمان في نهاية الأمر يجب أن يأتي من الدولة ؛ فإننا لا يمكننا استبعاد احتمالات التوقف عن السداد نتيجة للإفلاس ، أو نتيجة للوفاة بدون ترك أية موجودات ، إلخ . فيكون من الواجب في تلك الأحوال أن تتولى الدولة رد تلك المبالغ المتضمنة ، ومن الممكن أن يتم ذلك في المجتمع الإسلامي ، عن طريق الإحتفاظ بجزء من إيراد الزكاة لهذا الغرض .

الملاءمة الاقتصادية :

نحن لا ندين بالاعتقاد أنه سوف تنتج عن إلغاء الفائدة أية صعوبات فيما يتعلق بالعرض بالنسبة للمدخرات وتوزيعها على القطاعات الإقتصادية المختلفة . وبالنسبة لتوزيع الاعتمادات المالية القابلة للإستثمار ، فإن سعر الفائدة لا يعتبر شيئا حاسما ، ولكن الشيء الحاسم هو أولويات الدولة الحديثة ومعدلات الأرباح في القطاعات المختلفة الخاصة بالشركات . وعلى الأكثر ، فإن عدم وجود مدفوعات ثابتة من الفائدة قد يكون له أثر حدي على الميل للإدخار ، الذي تقوم الفائدة بدور ضئيل بالنسبة لتقريره .

وسوف توجد إمكانيات لتوظيف المدخرات بطريقة مربحة . وسوف يكون هناك احتمال صغير جداً بالنسبة للمخاطر المتضمنة في (الحسابات الإستثمارية) الموضوعة في البنوك التجارية أو بالنسبة لصفقات الأسهم الصادرة بواسطة الدولة . وعلى الأكثر ، فإنه قد ينشأ تحول لصالح ودائع الطلب و (شهادات القروض) . ولكن ذلك التحول لن يكون ذا أهمية من وجهة نظر المجتمع لأن جميع تلك الاعتمادات المالية يمكن إستخدامها في نهاية الأمر في المشروعات التجارية كما شرحنا فيما سبق .

وأخيراً ، فإن دور سعر الفائدة كأداة من أدوات السياسة المالية يعد صغيراً جداً حتى أننا لسنا في حاجة إلى تناوله بالدراسة . وحين نقتنع أنه من الممكن إعادة تنظيم الأعمال المصرفية بدون الفائدة فإننا نستطيع حينئذ أن نستبعدها بلا أدنى خوف .

محاولة لتبويب الآيات العلميّة
في القرآن الكريم

د . عماد الدّين خليل

إن (الحقائق) التي يطرحها القرآن والتي أريد منها أن تكون (شواهد) تقود الانسان إلى الإيمان بالله الواحد القادر العالم المريد ، تنتشر وتتوزع على مساحة القرآن كله ، ويمكن تصنيفها بشكل عام وفق الموضوعات التي اعتمدناها في هذا التبويب والتي يجدها القارىء فيما يلي .

ويجب أن نلاحظ أن ليس كل ما طرحه القرآن الكريم في واحد من حقول العلم العديدة أريد به أن يكون (إعجازاً) للأجيال التالية ، ولم يكن معروفاً ـ بالتالي ـ في عصر النزول . فثمة نصفان من الآيات نطالعهما في أي حقل من الحقول : صنف جاء على سبيل (الإخبار) ولفت الأنظار إلى خليقة الله وإبداعه في الكون والعالم والنفس ، وهو يعرض لحقائق وظواهر وموجودات كانت معروفة في عصرها ، كما هي معروفة في كل عصر . . . وصنف آخر تتضمن إشارات لحقائق وسنن ونواميس (علمية) ما كانت معروفة في عصرها ، وتولى العلم ـ بمرور الزمن ـ الكشف عنها ، وهي التي تسمى عادة بالإعجاز العلمي للقرآن .

كما يجب أن نلاحظ أن ما طرحه القرآن لا يمثل كشفاً بكافة الحقائق

العلمية ، فالقرآن الكريم ليس كتاباً علمياً[1] ، وانما هو يكتفي بالكشف عن بعض الحقائق ، والاشارة إلى بعضها الآخر . وتبقى حشود أخرى من الحقائق ، أكثر بكثير ، تركت للإنسان حرية الكشف عنها . والمنهج الذي طرحه القرآن نفسه[2] يمثل ضرورة إيمانية ملحّة لمواصلة هذا الكشف .

وقد سعيتُ في العرض التالي الى إيراد كافة الآيات والمقاطع سواء تلك التي تنتمي إلى هذا الصنف أو ذاك ، وتجاوزت (مشاهد القيامة) التي تطرح معطياتها عن التغيرات التي سيشهدها العالم والكون يومها ، لأنها تخرج عن نطاق العرض الذي يستهدف متابعة الآيات التي تتحدث عن الكون والعالم والحياة في سياقها (الطبيعي) قبل (هزّة) يوم القيامة التي لا يعلم أبعادها الهائلة الشاملة العنيفة إلا الله :

﴿يَسْأَلُونَك عن السَّاعةِ أيَّانَ مُرْسَاهَا ؟ قُلْ : إنَّمَا عِلْمُها عِنْدَ رِبِّي لا يجلّيها لوقتها إلاَّ هو ، ثقلت في السماوات والأرض ، لا تأتكيم إلاّ بغتة . . . ﴾[3]

﴿وما أمر الساعة إلا كَلَمْح البصر أو هو أقرب . . . ﴾[4]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أتَّقُوا ربَّكَمْ إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[5]

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنْ السَّاعَة قُلْ : إنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ الله . . . ﴾[6]

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا . فِيمَ أنتَ مِنْ ذِكْرَاها ؟ إلى ربكَ مُنْتَهَاهَا ﴾[7] .

---

(١) (٢) في عدد كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٨ من مجلة (العربي) التي تصدر في الكويت ، مقال موجز للمؤلف ، عن موقف القرآن الكريم من المسألة العلمية في أبعادها الثلاثة : المنهج ، الحقائق ، التطبيق . . . وهناك قيد الإعداد بحث مطوّل عن الموضوع عسى أن يتاح لبعض فصوله لقاء مع الأخوة قرّاء (المسلم المعاصر) في المستقبل القريب بإذن الله .

(٣) سورة الأعراف ١٨٧

(٤) سوف النحل ٧٧

(٥) سوة الحج ١

(٦) سوفة الأحزاب ٦٣

(٧) سوة النازعات ٤٢ ـ ٤٤

كما أنني تجاوزت ـ للاعتبار نفسه ـ مجموعة الصور والمواقف القرآنية التي تتحدث عن (الجنة والنار) . . . . ولم أشأ ـ كذلك ـ أن أعرض للآيات ذات البعد (الغيبي) ، مـا دام أنه لا العلم ولا سائر الخبرات البشرية بقادر على سبر غورها بما هيّئ لها من امكانات .

وبالمقابل ، فقد أوردت الآيات التي تتحدث عن أنماط (العقاب) التي جوبهت بها الأقوام والجماعات البشرية التي أصرّت على كفرهـا وإشراكهـا وغرورها ، لأن هذه الأنماط كانت مستمدة من صيغ جغرافية طبيعية ، بمعنى أنها جاءت معتمدة سنن الطبيعة ، لا (خارقة) لها . أما (الخوارق) فلم أشر اليها لأنها تخرج هي الأخرى عن حدود العرض ، اللهم إلا إذا تضمنت إشارة ما تمسّ جانباً علمياً[8] .

---

(٨) إن بمقدور باحث ، او مجموعة باحثين : القيام بعمل عرضي مقارن لتفسير الآيات المتعلقة بالمسألة العلمية حسب موضوعاتها ، وذلك باعتماد تفسير قديم كالطبري أو ابن كثير ـ على سبيل المثال ـ وآخر حديث شامل كالظلال ، وثالث من التفاسير المعنية بالجوانب العلمية فحسب ، وذلك من أجل متابعة المنحنى التفسيري لهذه الآيات ، وتبين طبيعة موقف عصرين متباعدين من معطيات القرآن العلمية . وأغلب الظن أن محاولة كهذه تمثل ضرورة في حقل الدراسات القرآنية .

الفَـــلَك

﴿ . . . ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سمـاوات وهـو بكل شيء عليم﴾ [1]

﴿بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾[2]

﴿إن في خلق السماوات والأرض واختـلاف الليل والنهـار . . . لآيات لقـوم يعقلون﴾[3]

﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج . . ﴾[4] .

﴿قال ابراهيم : فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت الذي كفر﴾[5]

﴿تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل . . ﴾[6]

﴿إن في خلق السمـاوات والأرض واختـلاف الليل والنهـار ، لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾[7]

﴿الحمـد لله الـذي خلـق السمـاوات والأرض ، وجعـل الظلمـات والنور . . . ﴾[8]

﴿ فاطر السماوات والأرض . . . ﴾[9]

﴿فالق الإصباح ، وجعل الليل سكناً والشمس والقمـر حسباناً ذلك تقـدير العزيز العليم . وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾[10]

---

(١) البقرة ٢٩
(٢) البقرة ١١٧
(٣) البقرة ١٦٤
(٤) البقرة ١٨٩
(٥) البقرة ٢٥٨
(٦) آل عمران ٢٧
(٧) آل عمران ١٩٠ ـ ١٩١
(٨) الأنعام ١
(٩) الأنعام ١٤
(١٠) الأنعام ٩٦ ـ ٩٧

﴿بديع السماوات والأرض . . . ﴾[11]

﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمرتبارك الله رب العالمين﴾[12]

﴿أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء؟. . . ﴾[13]

﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله ، يوم خلق السموات والأرض . . . ﴾[14]

﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلاّ بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون . إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السمَاوات والأرض لآيات لقوم يتقون﴾[15] .

﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم ، قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين﴾[16] .

﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ، إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾[17] .

﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض ، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾[18]

﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر ، كل يجري لأجل مسمى . . ﴾[19]

﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار﴾[20]

---

(١١) ا الأنعام ١٠١
(١٢) الأعراف ٥٤
(١٣) الأعراف ١٨٥
(١٤) التوبة ٣٦
(١٥) يونس ٥ ـ ٦
(١٦) يونس ٤٥
(١٧) يونس ٦٧
(١٨) يونس ١٠١
(١٩) الرعد ٢
(٢٠) ابراهيم ٣٣

﴿يوم تُبدل الأرض غير الأرض والسماوات . . . ﴾[٢١]

﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين . وحفظناها من كل شيطان رجيم . إلاّ من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين﴾[٢٢]

﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾[٢٣]

﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾[٢٤]

﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا﴾[٢٥] .

﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم الاّ قليلا﴾[٢٦]

﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله . . ﴾[٢٧]

﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا . قل الله أعلم بما لبثوا . . ﴾[٢٨]

﴿نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة : إن لبثتم إلاّ يوما﴾[٢٩]

﴿لو كان فيهما آلهة الاّ الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾[٣٠]

﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما . . ﴾[٣١]

﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون . وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾[٣٢] .

---

(٢١) ابراهيم ٤٨
(٢٢) الحجر ١٦ ـ ١٨
(٢٣) النحل ١٢
(٢٤) النحل ١٦
(٢٥) الاسراء ١٢
(٢٦) الاسراء ٥٢
(٢٧) الكهف ١٧
(٢٨) الكهف ٢٥ ـ ٢٦
(٢٩) طه ١٠٤
(٣٠) الانبياء ٢٢
(٣١) الانبياء ٣٠
(٣٢) الانبياء ٣٢ ـ ٣٣

﴿يوم نطوي السماء كطيّ السجل للكتب ، كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً ، علينا إنا كنا فاعلين﴾[٣٣] .

﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾[٣٤] .

﴿ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير﴾[٣٥]

﴿ . . . ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه ، إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾[٣٦] .

﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين﴾[٣٧] .

﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن . . . ﴾[٣٨]

﴿وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون ؟﴾[٣٩] .

﴿وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعضٍ سبحان الله عما يصفون﴾[٤٠] .

﴿قال : كم لبثتم في الأرض عدد سنين ؟ قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادّين . قال : إن لبثتم إلاّ قليلا لو أنكم كنتم تعلمون ﴾[٤١]

﴿يقلّب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾[٤٢] .

﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلا . ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيرا . وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشورا﴾[٤٣] .

﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً . وهو الذي جعل الليل والنهار خِلفة لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكورا﴾[٤٤] .

---

(٣٣) الانبياء ١٠٤
(٣٤) الحج ٤٧
(٣٥) الحج ٦١
(٣٦) الحج ٦٥
(٣٧) المؤمنون ١٧
(٣٨) المؤمنون ٧١
(٣٩) المؤمنون ٨١
(٤٠) المؤمنون ٩١
(٤١) المؤمنون ١١٢ ـ ١١٤
(٤٢) النور ٤٤
(٤٣) الفرقان ٤٥ ـ ٤٧
(٤٤) الفرقان ٦١ ـ ٦٢

﴿قال : يـأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ؟ قال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين . قال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم . قال : نكّروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون . فلما جاءت قيل أهـكذا عرشك ؟ قالت : كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾(٤٥)

﴿ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ؟﴾(٤٦)

﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ؟ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ؟﴾(٤٧)

﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ؟ ليقولن الله فأنى يؤ فكون﴾(٤٨)

﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره . . . ﴾(٤٩)

﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤ فكون ﴾(٥٠)

﴿خلق السماوات بغير عمد ترونها . . ﴾(٥١)

﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ؟ . . . ﴾(٥٢)

﴿ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل ، وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى ، والله بما تعملون خبير ؟ ﴾(٥٣)

---

(٤٥) النمل ٣٨ ـ ٤٢
(٤٦) النمل ٨٦
(٤٧) القصص ٧١ ـ ٧٢
(٤٨) العنكبوت ٦١
(٤٩) الروم ٢٥
(٥٠) الروم ٥٥
(٥١) لقمان ١٠
(٥٢) لقمان ١١
(٥٣) لقمان ٢٩

﴿والله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون ؟ يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾(٥٤)

﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمىٰ . . .﴾(٥٥)

﴿إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفورا﴾(٥٦)

﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾(٥٧)

﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾(٥٨)

﴿رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق . إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظاً من كل شيطان مارد . لا يسَّمَّعون الى الملأ الأعلى ، ويقذفون من كل جانب . دحوراً ولهم عذاب واصب . إلاّ من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾(٥٩)

﴿خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾(٦٠)

﴿له مقاليد السماوات والأرض . . .﴾(٦١)

---

(٥٤) السجدة ٤ ـ ٥
(٥٥) فاطر ١٣
(٥٦) فاطر ٤١
(٥٧) ياسين ٣٦ وانظر الزخرف ١٢
(٥٨) ياسين ٣٧ ـ ٤٠
(٥٩) الصافات ٦
(٦٠) الزمر ٥
(٦١) الزمر ٦٣

﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾(٦٢)

﴿لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾(٦٣) .

﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن الله لذو فضل على الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾(٦٤)

﴿والله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء . . .﴾(٦٥)

﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءً للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض آئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا : أتينا طائعين . فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزيّنا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم﴾(٦٦)

﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إيّاه تعبدون﴾(٦٧)

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ؟﴾(٦٨)

﴿له مقاليد السماوات والأرض . . .﴾(٦٩)

﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾(٧٠)

---

(٦٢) الزمر ٦٧
(٦٣) غافر ٥٧
(٦٤) غافر ٦١
(٦٥) غافر ٦٤
(٦٦) فصلت ٩ ـ ١٢
(٦٧) فصلت ٣٧
(٦٨) فصلت ٥٣
(٦٩) الشورى ١٢
(٧٠) الاحقاف ٣٥

﴿ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيما﴾(٧١)

﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ؟﴾(٧٢) ﴿والسماء ذات الحبك﴾(٧٣)

﴿والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون﴾(٧٤)

﴿والشمس والقمر بحسبان . والنجم والشجر يسجدان . والسماء رفعها ووضع الميزان﴾(٧٥) .

﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾(٧٦)

﴿يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن﴾(٧٧)
﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطِان فبأي آلآء ربكما تكذبان ؟ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران . فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟﴾(٧٨)
﴿فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم﴾(٧٩)

﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾(٨٠)

﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾(٨١)

﴿الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور؟ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير . ولقد زيّنا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾(٨٢)

---

(٧١) الفتح ٤ ، ٧
(٧٢) ق ٩
(٧٣) الذاريات ٧
(٧٤) الذاريات ٤٧
(٧٥) الرحمن ٥ - ٧
(٧٦) الرحمن ١٧
(٧٧) الرحمن ٢٩
(٧٨) الرحمن ٣٣ - ٣٦
(٧٩) الواقعة ٧٥ - ٧٦
(٨٠) الحديد ٦
(٨١) الطلاق ١٢
(٨٢) الملك ٣ - ٥

﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون﴾[٨٣]

﴿من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة . فاصبر صبراً جميلاً إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً﴾[٨٤]

﴿أو لم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً . وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً﴾[٨٥]

﴿وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصداً﴾[٨٦]

﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو . . . ﴾[٨٧]

﴿وبنينا فوقهم سبعاً شداداً . وجعلنا سراجاً وهّاجا﴾[٨٨]

﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها . رفع سمكها فسوّاها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال رساها﴾[٨٩]

﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاّ عشية أوضحاها﴾[٩٠]

﴿فلا أقسم بالخنّس . الجوار الكنّس . والليل إذا عسعس . والصبح إذا تنفّس ﴾[٩١]

﴿فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر إذا اتسق . لتركبنّ طبقاً عن طبق﴾[٩٢]

﴿والسماء ذات البروج﴾[٩٣]

﴿والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارق . النجم الثاقب ﴾[٩٤]

---

(٨٣) المعارج ٤٠
(٨٤) المعارج ٣ ـ ٧
(٨٥) نوح ١٥ ـ ١٦
(٨٦) الجن ٨ ـ ٩
(٨٧) المدثر ٣١
(٨٨) النبأ ١٢ ـ ١٣
(٨٩) النازعات ٢٧ ـ ٣٢
(٩٠) النازعات ٤٦
(٩١) التكوير ١٥ ـ ١٨
(٩٢) الانشقاق ١٦ ـ ١٩
(٩٣) البروج ١
(٩٤) الطارق ١ ـ ٣

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت ؟﴾[٩٥]

﴿والضحى والليل إذا سجى﴾[٩٦]

﴿والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها . والنهار إذا جلاّها . والليل إذا يغشاها . والسماء وما بناها . والأرض وما طحاها﴾[٩٧]

﴿والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى﴾[٩٨]

* * * * * * * * *

وهناك حشود من الآيات الكريمة تتحدث عن مسائل شمولية تتعلق بالكون والفلك ، يمكن تصنيفها إلى خمس مجموعات . تتناول أولاها قضية خلق الكون ، وتتناول ثانيتها قضية التقدير والضبط في عملية الخلق ، أما ثالثتها فتتحدث عن الهيمنة الإلهية على الكون وملكيته ، بينما تتجه رابعتها لتقرير علم الله الشامل بأسرار الكون ونواميسه وتعرض خامستها للمشيئة الإلهية المطلقة في الخلق ونكتفي ها هنا بالإحالة إلى مواقع هذه الآيات :

أ ـ خلق الكون [٩٩].

ب ـ التقدير في الخلق[١٠٠]

---

(٩٥) الغاشية ١٨

(٩٦) الضحى ١ ـ ٢

(٩٧) الشمس ١ ـ ٦

(٩٨) الليل ١ ـ ٢

(٩٩) الانعام/ ٧٣ ، ٧٩، الأعراف/ ٥٤ ، يونس ٣ ، هود٧، ابراهيم ١٩ ، ٣٢ ـ ٣٣ ، النحل ٣ ، الإسراء ٩٩ ، الكهف ٥١ ، طه ٤ ، الأنبياء ١٦ ـ ١٨ ، ٥٦ ، الفرقان ٥٩ ، النمل ٦٠ ، العنكبوت ٤٤ ، الروم ٨ ، لقمان ٢٥ ، السجدة ٤ ، فاطر ١ ، ياسين ٨١ ، ص ٢٧ ، الزمر ٣٨ ، ٤٦ ، غافر ٥٧ ، الشورى ١١ ، ٢٩، الدخان ٣٨ ـ ٣٩، الجاثية ٢٢، الاحقاف ٣ ، ٣٣ ، ق ١٥، ٣٨ ، الطور ٣٦، الحديد ٤، التغابن ٣ .

(١٠٠) الأنعام ٩٦ ، يونس ٥ ، الرعد ٨ ، ١٧ ، الحجر ٢١ ، المؤمنون ١٨ ، الفرقان ٢ ، سبأ ١٨ ، ياسين ٣٨ ، ٣٩ ، فصلت ١٠ ، ١٢ ، الشورى ٢٧ ، الزخرف ١١ ، القمر ١٢ ، ٤٩ ، المزمل ٢٠ ، المرسلات ٢٣ ، الأعلى٣ .

ج ـ الهيمنة والملكية [١٠١] .

د ـ العلم الشامل بالأسرار والنواميس [١٠٢] .

هـ ـ المشيئة المطلقة في الخلق[١٠٣]

(١٠١) البقرة ١٠٧ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٤٢ ، ٢٥٥ ، ٢٨٤ ، آل عمران ١٠٩ ، ١٨٠ ؛ النساء ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٧١ ، المائدة ١٧ ، ١٨ ، ٤٠ ، ١٢٠ ، الأنعام ١٢ ـ ١٣ ، الأعراف ١٥٨ ، التوبة ١١٦ ، يونس ٥٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، الرعد ١٦ ، إبراهيم ٢ ، النحل ٥٢ ، مريم ٦٥ ، طه ٦ ، الأنبياء ١٩ ، ٥٦ ، الحج ٦٤ ، المؤمنون ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٨ ، النور ٤٢ ، ٦٤ ، الفرقان ٢ ، الشعراء ٢٤ ، ٢٨ ، الروم ٢٦ ، لقمان ٢٦ ، سبأ ، ١ ، ٢٢ ، فاطر ٤٠ ، ياسين ٨٣ ، ص ٦٦ ، الزمر ٤٤ ، الشورى ٤ ، ٤٩ ، ٥٣ ، الزخرف ١٠ ، ٨٢ ، ٨٥ ، الدخان ٧ ، الجاثية ٢٧ ، ٣٦ ، الفتح ١٤ ، النجم ٣١ ، الحديد ٢، ٥ ، ١٠ ، المنافقون ٧ ، التغابن ١ ، الملك ١ ، النبأ ٣٧ ، البروج ٩ . وانظر مادة (وكيل) في (المعجم المفهرس) .

(١٠٢) الأنعام ٥٩ ، طه ٧ ، الفرقان ٦ ، النمل ٢٥ ، ٧٥ ، لقمان ، ١٦ ، سبأ ٢ ، ٣ ، الحجرات ١٦ ، ١٨ ، الحديد ٤ ، المجادلة ٧ ، التغابن ٤

(١٠٣) انظر مادة (قدير) ومشتقاتها في (المعجم المفهرس)

الجغـــرَافيا

﴿هو الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ﴾[1]

﴿هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً﴾[2]

﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآياتٍ لقوم يعقلون﴾[3]

﴿أولم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ، وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم ، وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ؟﴾[4]

﴿هو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء . . . ﴾[5]

﴿ . . . ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعّد في السماء . . . ﴾[6]

﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون﴾[7]

﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾[8]

﴿ . . . وبوّأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[9]

---

(١) البقرة ٢٢
(٢) البقرة ٢٩
(٣) البقرة ١٦٤
(٤) الأنعام ٦
(٥) الأنعام ٩٩
(٦) الأنعام ١٢٥
(٧) الأعراف ١٠
(٨) الأعراف ٥٧
(٩) الأعراف ٧٤

﴿وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا . . . ﴾[١٠]

﴿وهو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال . ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء . . . ﴾[١١]

﴿أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله﴾[١٢]

﴿أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ؟﴾[١٣]

﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ﴾[١٤]

﴿ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾[١٥]

﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين﴾[١٦]

﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾[١٧]

﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾[١٨]

﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما﴾[١٩]

---

(١٠) الرعد٣
(١١) الرعد ١٢ ـ ١٣
(١٢) الرعد ١٧
(١٣) الرعد ٤١
(١٤) الحجر ١٩
(١٥) الحجر ٢٢
(١٦) الحجر ٨٢
(١٧) النحل ١٥ ـ ١٦
(١٨) النحل ٨١
(١٩) الاسراء ٦٦

﴿أفأمنتم أن يخسِف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلا ؟ أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ؟﴾[20]

﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة . . .﴾[21]

﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا﴾[22]

﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتىٰ . كلوا وارعوا أنعامكم ، إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾[23]

﴿ . . . وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ؟ وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بكم وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً ، لعلهم يهتدون﴾[24]

﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون ؟﴾[25]

﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره . . .﴾[26]

﴿ وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكنّاه في الارض وإنّا على ذهاب به لقادرون﴾[27]

﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنى برقه يذهب بالابصار﴾[28]

---

(٢٠) الاسراء ٦٨ - ٦٩
(٢١) الكهف ٨٦
(٢٢) الكهف ٩٠
(٢٣) طه ٥٣ - ٥٤
(٢٤) الانبياء ٣٠ - ٣١
(٢٥) الانبياء ٤٤
(٢٦) الحج ٦٥
(٢٧) المؤمنون ١٨
(٢٨) النور ٤٣

﴿وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا . لنحيي به بلدة ميتا ، ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسّي كثيراً﴾[29]

﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات ، وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً﴾[30]

﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾[31]

﴿أم من جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً ، وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ، أإله مع الله ؟! بل أكثرهم لا يعلمون﴾[32]

﴿أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله ؟! تعالى عما يشركون ﴾[33]

﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرَّ السحاب، صنع الله الذي أتقن كل شيء . . ﴾[34]

﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها ، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾[35]

﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾[36]

﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون . وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين﴾[37]

---

(٢٩) الفرقان ٤٨ ـ ٤٩
(٣٠) الفرقان ٥٣
(٣١) الشعراء ١٤٩
(٣٢) النمل ٦١
(٣٣) النمل ٦٣
(٣٤) النمل ٨٨
(٣٥) الروم ٢٤
(٣٦) الروم ٤٦
(٣٧) الروم ٤٨ ـ ٤٩

﴿ . . . وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبثّ فيها من كل دابة . . . ﴾[38]

﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾[39]

﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾[40]

﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب﴾[41] .

﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾[42]

﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه ، وهذا ملح أجاج ، ومن كل تأكلون لحماً طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾[43]

﴿ . . ومن الجبال جُدَدٌ بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماءُ . . . ﴾[44]

﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون . وخلقنا لهم من مثله ما يركبون . وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون . إلاّ رحمة منا ومتاعاً الى حين﴾[45]

---

(٣٨) لقمان ١٠
(٣٩) لقمان ٢٧
(٤٠) لقمان ٣١
(٤١) سبأ ٩
(٤٢) فاطر ٩
(٤٣) فاطر ١٢
(٤٤) فاطر ٢٧ ـ ٢٨
(٤٥) ياسين ٤١ ـ ٤٤

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض ؟﴾[٤٦]

﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيّبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين﴾[٤٧]

﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين﴾[٤٨]

﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون . وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون﴾[٤٩]

﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد﴾[٥٠]

﴿ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام . إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور . أو يوبقهن بما كسبوا ويعفو عن كثير﴾[٥١]

﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون . والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون﴾[٥٢]

﴿إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزقٍ فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آياتٌ لقوم يعقلون﴾[٥٣] .

---

(٤٦) الزمر ٢١
(٤٧) غافر ٦٤
(٤٨) فصلت ٩ ـ ١٠
(٤٩) فصلت ١٦ ـ ١٧
(٥٠) الشورى ٢٨
(٥١) الشورى ٣٢ ـ ٣٤
(٥٢) الزخرف ١٠ ـ ١١
(٥٣) الجاثية ٣ ـ ٥

﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(٥٤)

﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا : هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم . تدمّر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرىٰ إلاّ مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾(٥٥)

﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماءً مباركا فأنبتنا به جناتٍ وحبّ الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج﴾(٥٦)

﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾(٥٧)

﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم . ما تذر من شيء أتت عليه إلاّ جعلته كالرميم . وفي ثموذ إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين . فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون . فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين﴾(٥٨)

﴿والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾(٥٩)

﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم﴾(٦٠)

﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر . وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر . وحملناه على ذات ألواح ودسر . تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر﴾(٦١)

---

(٥٤) الجاثية ١٢ ـ ١٣
(٥٥) الأحقاف ٢٤ ـ ٢٥
(٥٦) ق ٧ ـ ١١
(٥٧) الذاريات ٢٠
(٥٨) الذاريات ٤١ ـ ٤٥
(٥٩) الذاريات ٤٨
(٦٠) الطور ٤٤
(٦١) القمر ١١ ـ ١٤

﴿إنا أرسلنا عليهم ريحًا صرصراً في يوم نحس مستمر . تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾[٦٢]

﴿إنا ارسلنا عليهم حاصبا إلاّ آل لوط نجيناهم بسحر﴾[٦٣]

﴿والأرض وضعها للأنام﴾[٦٤]

﴿مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان . فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان . فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام . فبأي آلآء ربكما تكذبان ؟﴾[٦٥]

﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون ؟ أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ؟ لو نشاء جعلناه أُجاجاً فلولا تشكرون﴾[٦٦]

﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾[٦٧]

﴿هو الذي حعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور . أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور . أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير﴾[٦٨]

﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين ؟﴾[٦٩]

﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية . وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيّام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾[٧٠]

﴿يرسل السماء عليكم مدراراً . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾[٧١]

---

(٦٢) القمر ١٩ - ٢٠
(٦٣) القمر ٣٤
(٦٤) الرحمن ١٠
(٦٥) الرحمن ١٩ - ٢٥
(٦٦) الواقعة ٦٨ - ٧٠
(٦٧) الحشر ٢١
(٦٨) الملك ١٥ - ١٧
(٧٩) الملك ٣٠
(٧٠) الحاقة ٥ - ٧
(٧١) نوح ١١ - ١٢

﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً . لتسلكوا منها سبلا فجاجا﴾(٧٢)

﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا﴾(٧٣)

﴿ألم نجعل الأرض كفاتا . أحياءً وأمواتاً . وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماءً فراتا ؟﴾(٧٤)

﴿ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتادا ؟﴾(٧٥)

﴿وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجا . لنخرج به حباً ونباتا . وجنات ألفافا﴾(٧٦)

﴿والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . متاعاً لكم ولأنعامكم﴾(٧٧)

﴿أنّا صببنا الماء صباً . ثم شققنا الأرض شقاً﴾(٧٨)

﴿والسماء ذات الرجع . والأرض ذات الصدع ﴾(٧٩)

﴿وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت ؟﴾(٨٠)

﴿والأرض وما طحاها﴾(٨١)

---

(٧٢) نوح ١٩ ـ ٢٠
(٧٣) نوح ٢٥
(٧٤) المرسلات ٢٥ ـ ٢٧
(٧٥) النبأ ٦ ـ ٧
(٧٦) النبأ ١٤ ـ ١٦
(٧٧) النازعات ٣٠ ـ ٣٢
(٧٨) عبس ٢٥ ـ ٢٦
(٨٩) الطارق ١١ ـ ١٢
(٨٠) الغاشية ١٩ ـ ٢٠
(٨١) الشمس ٦ .

النَّبَات

﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم . . ﴾(١)

﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها . قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟﴾(٢)

﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات . . . ﴾(٣)

﴿ . . فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين . . . ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطلٌ والله بما تعملون بصير ﴾(٤)

﴿إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي﴾(٥)

﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه ، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾(٦)

﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر . . ﴾(٧)

---

(١) البقرة ٥٧
(٢) البقرة ٦١
(٣) البقرة ١٥٥
(٤) البقرة ٢٦٤ ـ ٢٦٥
(٥) الأنعام ٩٥
(٦) الأنعام ٩٩
(٧) الأنعام ١٤١

﴿ . . سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكَّرون . والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلاّ نكداً كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون﴾(٨)

﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون﴾(٩)

﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تَغْنَ بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾(١٠)

﴿قال : تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلاّ قليلا مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون . ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يبصرون﴾(١١)

﴿وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأُكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾(١٢)

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾(١٣)

---

(٨) الأعراف ٥٧ ـ ٥٨
(٩) الاعراف ١٣٠
(١٠) يونس ٢٤
(١١) يوسف ٤٧ ـ ٤٩
(١٢) الرعد ٣ ـ ٤
(١٣) ابراهيم ٢٤ ـ ٢٦

﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار﴾(١٤)

﴿والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون . وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين . وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه وما ننزله إلاّ بقدر معلوم﴾(١٥)

﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾(١٦)

﴿وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾(١٧)

﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾(١٨)

﴿ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون سكَراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾(١٩)

﴿واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا . كلتا الجنتين آتت أُكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا . وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره : أنا أكثر منك مالا وأعزّ نفرا . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال : ما أظن أن تبيد هذه أبدا . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا . قال له صاحبه وهو يحاوره : أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفه ثم سوّاك رجلا ، لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربيّ أحدا . ولولا إذ دخلت جنتك قلت :

---

(١٤) ابراهيم ٣٢
(١٥) الحجر ١٩ - ٢١
(١٦) النحل ١٠ - ١١
(١٧) النحل ١٣
(١٨) النحل ٦٥
(١٩) النحل ٦٧

ما شاء الله لا قوة إلاّ بالله إن ترن أنا أقل منك مالاً وولدا . فعسى ربي أن يؤ تيني خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقاً . أو يصبح ماؤ ها غوراً فلن تستطيع له طلبا . وأحيط بثمره فاصبح يقلّب كفّيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم أشرك بربي أحدا . ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا﴾[٢٠]

﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾[٢١]

﴿وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى﴾[٢٢]

﴿ . . . وترك الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾[٢٣]

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير ؟﴾[٢٤]

﴿فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون . وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين﴾[٢٥]

﴿أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾[٢٦]

﴿ . . وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون﴾[٢٧]

﴿ولئن سألتهم من نزّل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ؟ ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾[٢٨]

---

(٢٠) الكهف ٣٢ ـ ٤٣
(٢١) الكهف ٤٥
(٢٢) طه ٥٣
(٢٣) الحج ٥
(٢٤) الحج ٦٣
(٢٥) المؤمنون ١٩ ـ ٢٠
(٢٦) الشعراء ٧
(٢٧) النمل ٦٠
(٢٨) العنكبوت ٦٣

﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾[29]

﴿ . . . وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾[30]

﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ؟﴾[31]

﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الارض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾[32]

﴿لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتا أُكلٍ خمط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلاّ الكفور ؟﴾[33]

﴿قل من يرزقكم من السماوات والأرض ؟ قل الله . . . . ﴾[34]

﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم . يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ، لا إله الاّ هو فأنّى تؤفكون ؟﴾[35]

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها . . ﴾[36]

﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ؟ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾[37]

---

(٢٩) الروم ٥٠
(٣٠) لقمان ١٠
(٣١) لقمان ١١
(٣٢) السجدة ٢٧
(٣٣) سبأ ١٥ ـ ١٧
(٣٤) سبأ ٢٤
(٣٥) فاطر ٣
(٣٦) فاطر ٢٧
(٣٧) ياسين ٣٣ ـ ٣٦

﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾[٣٨]

﴿فنبذناه في العراء وهو سقيم . وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾[٣٩]

﴿ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب﴾[٤٠]

﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير﴾[٤١] .

﴿ . . . وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه . . ﴾[٤٢]

﴿والذي خلق الأزواج كلها . . ﴾[٤٣]

﴿ . . ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾[٤٤]

﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾[٤٥]

﴿ . . وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾[٤٦]

﴿وأنزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد﴾[٤٧]

﴿فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام . والحبّ ذو العصف والريحان﴾[٤٨]

---

(٣٨) ياسين ٨٠
(٣٩) الصافات ١٤٥ ـ ١٤٦
(٤٠) الزمر ٢١
(٤١) فصلت ٣٩
(٤٢) فصلت ٤٧
(٤٣) الزخرف ١٢
(٤٤) الفتح ٢٩
(٤٥) الذاريات ٤٩
(٤٦) ق ٧
(٤٧) ق ٩ ـ ١٠
(٤٨) الرحمن ١٠ ـ ١٢

﴿أفرأيتم ما تحرثون ؟ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ؟ لو نشأ لجعلناه حطاما فظللتم تفكهون . إنا لمغرمون ، بل نحن محرومون﴾[49]

﴿أفرأيتم النار التي تورون ؟ أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ؟ نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقْوين﴾[50]

﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾[51]

﴿ . . . كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً . . . ﴾[52]

﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا لَيَصرِمُنَّها مصبحين . ولا يستثنون . فطاف عليهم طائف من ربك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم . فتنادوا مصبحين . أن أغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين . فانطلقوا وهم يتخافتون . أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين . وغدوا على صرد قادرين . فلما رأوها قالوا إنا لضالون . بل نحن محرومون . قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون . قالوا سبحان ربنا ، إنا كنا ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين . عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون . كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾[53]

﴿لنخرج به حباً ونباتاً . وجنات ألفافا﴾[54]

﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا .

---

(٤٩) الواقعة ٦٣ ـ ٦٧

(٥٠) الواقعة ٧١ ـ ٧٣

(٥١) الحديد ١٧

(٥٢) الحديد ٢٠

(٥٣) القلم ١٧ ـ ٣٣

(٥٤) النبأ ١٥ ـ ١٦

فأنبتنا فيها حبا . وعنباً وقضبّا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا متاعاً لكم ولأنعامكم﴾[٥٥]

﴿والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى﴾[٥٦]

﴿والتين والزيتون . وطور سينين﴾[٥٧]

---

(٥٥) عبس ٢٤ ـ ٣٢

(٥٦) الاعلى ٤ ـ ٥

(٥٧) التين ١ ـ ٢

الحَـــيوَان

﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ، فأما الـذين آمنـوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهـذا مثلا ؟ يضلّ به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين﴾[1]

﴿ . . فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة . . ﴾[2] .

﴿فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يوارِي سوأة أخيه قال يا ويلتي أعجـزت أن أكون مثـل هذا الغراب فأواري سوأة أخـي ؟ فأصبـح من النادمين ﴾[3]

﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾[4]

﴿ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ﴾[5]

﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير . . . ﴾[6]

﴿ . . . ولكنه أخلد إلى الأرض ، فمثله كمثل الكلب ، إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث . . . ﴾[7]

﴿وما من دابة في الارض إلاّ على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾[8]

---

(١) البقرة ٢٦
(٢) البقرة ١٦٤
(٣) المائدة ٣١
(٤) الإنعام ٣٨
(٥) الانعام ١٤٢
(٦) الاعراف ٢٦
(٧) الاعراف ١٧٦
(٨) هود ٦

﴿ما من دابة إلاّ هو آخذ بناصيتها . . . ﴾[9]

﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلاّ بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾[10]

﴿وهو الذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً . . ﴾[11]

﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾[12]

﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾[13]

﴿أولم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكن إلاّ الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون . والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين﴾[14]

﴿قال : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾[15]

﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذي تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوهُ منه ضَعُفَ الطالب والمطلوب﴾[16]

---

(٩) هود ٥٦
(١٠) النحل ٥ ـ ٩
(١١) النحل ١٤
(١٢) النحل ٦٦
(١٣) النحل ٦٨ ـ ٦٩
(١٤) النحل ٧٩ ـ ٨٠
(١٥) طه ٥٠
(١٦) الحج ٧٣

﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ، ولكم فيها منافع كثيرة ، ومنها تأكلون . وعليها وعلى الفلك تحملون﴾[١٧]

﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع ، يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾[١٨]

﴿وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علّمنا منطق الطير وأُوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين . وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون . حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكاً من قولها وقال : رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾[١٩]

﴿وتفقد الطير فقال : ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ؟ لأعذبنه عَذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين . فمكث غير بعيد فقال : أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين . . . ﴾[٢٠]

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾[٢١]

﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أَوْهَنَ البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾[٢٢]

﴿ وكأيِّنْ من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾[٢٣]

﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة . . . ﴾[٢٤]

---

(١٧) المؤمنون ٢١ ـ ٢٢
(١٨) النور ٤٥
(١٩) النمل ١٦ ـ ١٩
(٢٠) النمل ٢٠ ـ ٢٣
(٢١) العنكبوت ٢٠
(٢٢) العنكبوت ٤١
(٢٣) العنكبوت ٦٠
(٢٤) لقمان ١٠

﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ؟﴾[٢٥]

﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته ، فلما خرّتبيَّنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾[٢٦]

﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه إنما يخشى الله من عباده العلماء . . ﴾[٢٧]

﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾[٢٨]

﴿ أولم يَرَوْا أنَّا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون ؟وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ؟ ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ؟﴾[٢٩]

﴿إذ عرض عليه بالعشّي الصافنات الجياد . فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب . ردّوها عليّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾[٣٠]

﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج . . . ﴾[٣١]

﴿الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون . ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون﴾[٣٢]

﴿ . . وجعل لكم من انفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه . . . ﴾[٣٣]

---

(٢٥) لقمان ١١
(٢٦) سبأ ١٤
(٢٧) فاطر ٢٨
(٢٨) ياسين ٣٦
(٢٩) ياسين ٧١ ـ ٧٣
(٣٠) ص ٣١ ـ ٣٣
(٣١) الزمر ٦
(٣٢) غافر ٧٩ ـ ٨٠
(٣٣) الشورى ١١

﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾[34]

﴿والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾[35]

﴿وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون﴾[36]

﴿مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا . . . .﴾[37]

﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ، ما يمسكهنّ إلاّ الرحمن إنه بكل شيء بصير ؟﴾[38]

﴿فما لهم عن التذكرة معرضين ؟ كأنهم حمر مستنفرة . فرت من قسورة ؟﴾[39]

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ؟﴾[40]

﴿والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحاً . فالمغيرات صبحاً . فأثرن به نقعاً . فوسطن به جمعا﴾[41]

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ؟ ألم يجعل كيدهم في تضليل ؟ وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول﴾[42]

---

(٣٤) الشورى ٢٩

(٣٥) الزخرف ١٢

(٣٦) الجاثية ٤

(٣٧) الجمعة ٥

(٣٨) الملك ١٩

(٣٩) المدثر ٤٩ ـ ٥١

(٤٠) الغاشية ١٧

(٤١) العاديات ١ ـ ٥

(٤٢) الفيل ١ ـ ٥

خلق الإنسان

﴿وهو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء . . .﴾[١]

﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾[٢]

﴿يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء . . .﴾[٣]

﴿وهو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون﴾[٤].

﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به ؟﴾[٥]

﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾[٦]

﴿قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ؟ قال : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[٧]

﴿ . . وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾[٨]

﴿واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم﴾[٩]

﴿وهو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشّاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن ءاتيتنا

---

(١) آل عمران ٦
(٢) آل عمران ٥٩
(٣) النساء ١
(٤) الانعام ٢
(٥) الانعام ٤٦
(٦) الاعراف ١١
(٧) الاعراف ١٢
(٨) الاعراف ٦٩
(٩) الاعراف ٨٦

صالحاً لنكونن من الشاكرين﴾[10]

﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ؟﴾[11]

﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾[12]

﴿ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأٍ مسنون والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم . وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإٍ مسنون ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾[13]

﴿خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾[14]

﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليم قدير﴾[15]

﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة . . ﴾[16]

﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾[17]

﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلا ؟﴾[18]

﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾[19]

﴿أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ؟﴾[20]

---

(١٠) الاعراف ١٨٩
(١١) يونس ٣١
(١٢) الرعد ٨
(١٣) الحجر ٢٦ ـ ٢٩
(١٤) النحل ٤
(١٥) النحل ٧٠
(١٦) النحل ٧٢
(١٧) النحل ٧٨
(١٨) الكهف ٣٧
(١٩) الكهف ٥١
(٢٠) مريم ٦٧

﴿قال : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾[٢١]

﴿يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغةٍ مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً . . .﴾[٢٢]

﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناهُ خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين . ثم انكم بعد ذلك لميتون﴾[٢٣]

﴿وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة . . .﴾[٢٤]

﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾[٢٥]

﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾[٢٦]

﴿ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون﴾[٢٧]

﴿ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[٢٨]

﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين﴾[٢٩]

---

(٢١) طه ٥٠
(٢٢) الحج ٥
(٢٣) المؤمنون ١٤ ـ ٥
(٢٤) المؤمنون ٧٨
(٢٥) الفرقان ٥٤
(٢٦) القصص ٦٨
(٢٧) الروم ٢٠
(٢٨) الروم ٢١
(٢٩) الروم ٢٢

﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الاعلى في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم ﴾(٣٠)

﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾(٣١)

﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ؟﴾(٣٢)

﴿ووصينا الانسان بوالديه حملته أُمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير﴾(٣٣)

﴿ما خلقكم ولا بعثكم الاّ كنفس واحدة ان الله سميع بصير﴾(٣٤)

﴿ . . ويعلم ما في الأرحام . . ﴾(٣٥)

﴿الذي احسن خلق كَل شيء وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون﴾(٣٦)

﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الاّ بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الاّ في كتاب ان ذلك على الله يسير﴾(٣٧)

﴿سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾(٣٨)

﴿أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلاً

---

(٣٠) الروم ٢٧
(٣١) الروم ٥٤
(٣٢) لقمان ١١
(٣٣) لقمان ١٤
(٣٤) لقمان ٢٨
(٣٥) لقمان ٣٤
(٣٦) السجدة ٩
(٣٧) فاطر ١١
(٣٨) ياسين ٣٦

ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم﴾[٣٩]

﴿ اوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾[٤٠]

﴿فاستفتهم اهم اشد خلقاً ام من خلقنا من طين لازب ؟﴾[٤١]

﴿ اذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين. فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . . إلاّ إبليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا إبليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ؟ استكبرت ام كنت من العالين ؟ قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[٤٢]

﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الأنعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث . . ﴾[٤٣]

﴿لخلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾[٤٤]

﴿ . . وصوّركم فأحسن صوركم . . . ﴾[٤٥]

﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلاً مسمى ولعلكم تعقلون﴾[٤٦]

﴿ . . وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه . . ﴾[٤٧]

---

(٣٩) ياسين ٧٧ ـ ٧٩
(٤٠) ياسين ٨١
(٤١) الصافات ١١
(٤٢) ص ٧١ ـ ٧٦
(٤٣) الزمر ٦
(٤٤) غافر ٥٧
(٤٥) غافر ٦٤
(٤٦) غافر ٦٧
(٤٧) فصلت ٤٧

﴿ . . جعل لكم من انفسكم ازواجا . . . ﴾[48]

﴿ . . يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، او يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً انه عليم قدير﴾[49]

﴿وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون﴾[50]

﴿ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرهاً ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال ربي أوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والديّ وان اعمل صالحاً ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين﴾[51]

﴿وجعل لكم سمعا وأبصاراً وأفئدة . . ﴾[52]

﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير ﴾[53]

﴿قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ﴾[54]

﴿وفي انفسكم افلا تبصرون ؟﴾[55]

﴿ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ؟﴾[56]

﴿ . . هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنّة في بطون امهاتكم . . ﴾[57]

﴿وانه خلق الزوجين الذكر والانثى . من نطفة اذا تمنى . وان عليه النشأة الاخرى﴾[58]

---

(٤٨) الشورى ١١
(٤٩) الشورى ٤٩ ـ ٥٠
(٥٠) الجاثية ، ٤
(٥١) الاحقاف ١٥
(٥٢) الاحقاف ٢٦
(٥٣) الحجرات ١٣
(٥٤) ق ٤
(٥٥) الذاريات ٢١
(٥٦) الطور ٣٥
(٥٧) النجم ٣٢
(٥٨) النجم ٤٥ ـ ٤٧

﴿خلق الانسان .علمه البيان﴾[٥٩]

﴿خلق الانسان من صلصال كالفخار . وخلق الجانّ من مارج من نار﴾[٦٠]

﴿افرأيتم ما تمنون ؟ أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون ؟﴾[٦١]

﴿ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون﴾[٦٢]

﴿هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى . . .﴾[٦٣]

﴿ . . وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير﴾[٦٤]

﴿قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون . قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون﴾[٦٥]

﴿وقد خلقكم اطوارا﴾[٦٦]

﴿والله انبتكم من الارض نباتا . ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا﴾[٦٧]

﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾[٦٨]

﴿ الم يك نطفة من مني يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوّىٰ . فجعل منه الزوجين الذكر والانثى . اليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟ ﴾[٦٩] .

﴿ هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً . انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ﴾[٧٠]

﴿نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا﴾[٧١]

﴿ألم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه في قرار مكين . الى قدر معلوم . فقدرنا فنعم القادرون﴾[٧٢] .

---

(٥٩) الرحمن ٣ ـ ٤
(٦٠) الرحمن ١٤ ـ ١٥
(٦١) الواقعة ٥٨ ـ ٥٩
(٦٢) الواقعة ٦٢
(٦٣) الحشر ٢٤
(٦٤) التغابن ٣
(٦٥) الملك ٢٣ ـ ٢٤
(٦٦) نوح ١٤
(٦٧) نوح ١٧ ـ ١٨
(٦٨) القيامة ٤
(٦٩) القيامة ٣٧ ـ ٤٠
(٧٠) الانسان ١ ـ ٢
(٧١) الانسان ٢٨
(٧٢) المرسلات ٢٠ ـ ٢٣

﴿وخلقناكم ازواجا﴾[٧٣]

﴿قُتل الانسان ما اكفره . من اي شيء خلقه . من نطفةٍ خلقه فقدره . ثم السبيل يسرَّه . ثم أماته فأقبره . ثم اذا شاءأنشره﴾[٧٤]

﴿يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك . في اي صورة ما شاء ركبك ؟﴾[٧٥]

﴿فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . انه على رجعه لقادر . يوم تبلى السرائر . فما له من قوة ولا ناصر﴾[٧٦]

﴿سبح اسم ربك الأعلى . الذي خلق فسوى﴾[٧٧]

﴿ألم نجعل له عينين . ولسانا وشفتين ؟﴾[٧٨]

﴿وما خلق الذكر والانثى﴾[٧٩]

﴿لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم . ثم رددناه اسفل سافلين . الاّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات فاهم أجر غير ممنون﴾[٨٠]

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق﴾[٨١]

---

(٧٣) النبأ ٨
(٧٤) عبس ١٧ ـ ٢٢
(٧٥) الانفطار ٦ ـ ٨
(٧٦) الطارق ٥ ـ ١٠
(٧٧) الاعلى ١ ـ ٢
(٧٨) البلد ٨ ـ ٩
(٧٩) الليل ـ ٣
(٨٠) التين ٤ ـ ٦
(٨١) العلق ١ ـ ٢

الطِبّ وَعلم النّفس *

﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾(١)

﴿ . . فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾(٢)

﴿بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾(٣)

﴿إنما حرم عليكم الميتةوالدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم﴾(٤)

﴿يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . اياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدي للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾(٥)

﴿احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود

---

* يجب أن نلاحظ أن توجيه القرآن الكريم يقود في النهاية الى تكوين حالة نفسية وجسدية متوازنة ، وما هذه الآيات الا نماذج فحسب للسياق القرآني العام (انظر على وجه الخصوص محمد قطب : الانسان بين المادية والاسلام ، دراسات في النفس الانسانية ، ومنهج التربية الاسلامي) .

(١) البقرة ٣٨

(٢) البقرة ٦٢

(٣) البقرة ١١٢ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧

(٤) البقرة ١٧٣

(٥) البقرة ١٨٣ ـ ١٨٥

من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾(٦)

﴿وأتموا الحج والعمرة لله فان أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب﴾(٧)

﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما﴾(٨) .

﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين . نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين﴾(٩)

﴿الوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالاً عن تراضٍ منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما ءاتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير﴾(١٠)

﴿ . . واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى﴾(١١)

---

(٦) البقرة ١٨٧
(٧) البقرة ١٩٦
(٨) البقرة ٢١٩
(٩) البقرة ٢٢٢ ـ ٢٢٣
(١٠) البقرة ٢٣٣
(١١) البقرة ٢٨٢

﴿ لا يكلف الله نفساً الاّوسعهالها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . . . ﴾[12]

﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾[13] .

﴿اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون . ثم أنزل عليكم مَن بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء ؟ قل إن الأمر كله لله يخفون في انفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدروكم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾[14]

﴿يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم مِنْ خَلْفهم ألاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[15]

﴿والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلاً عظيماً . يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفاً﴾[16]

﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ، والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبُع الاّ ما ذكّيتم . . . فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لا ثم فان الله غفور رحيم﴾[17]

﴿يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق

---

(١٢) البقرة ٢٨٦

(١٣) آل عمران ١٤

(١٤) آل عمران ١٥٣ ـ ١٥٤

(١٥) آل عمران ١٧٠

(١٦) النساء ٢٧ ـ ٢٨

(١٧) المائدة ٣

وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين فان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيباً فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾[18]

﴿يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام . . .﴾[19]

﴿من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[20]

﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضي اجل مسمى ثم اليه مرجعكم . .﴾[21]

﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأ من﴾[22]

﴿ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو ايديهم اخرجوا انفسكم . .﴾[23]

﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾[24]

﴿فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعّد في السماء . .﴾[25]

﴿قل لا اجد في ما اوحي اليّ محرماً على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دماً

---

(١٨) المائدة ٦
(١٩) المائدة ١٦
(٢٠) المائدة ٦٩ ، الانعام ٤٨ ، الاعراف ٣٥
(٢١) الانعام ٦٠
(٢٢) الانعام ٨٢
(٢٣) الانعام ٩٣
(٢٤) الانعام ٩٨
(٢٥) الانعام ١٢٥

مسفوحاً أو لحم خنزير، فإنـه رجس ، او فسقاً اهل لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم . وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها الا ما حملت ظهورهما او الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون﴾[٢٦]

﴿ . . لا نكلف نفساً الا وسعها . . . ﴾[٢٧]

﴿قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق . . ﴾[٢٨]

﴿ . . ونزعنا ما في صدورهم من غل . . ﴾[٢٩]

﴿يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم . . ﴾[٣٠]

﴿وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم . اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام﴾[٣١]

﴿الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً﴾[٣٢]

﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم﴾[٣٣]

---

(٢٦) الانعام ١٤٥ ـ ١٤٦
(٢٧) الانعام ١٥٢
(٢٨) الأعراف ٣٢ ـ ٣٣
(٢٩) الاعراف ٤٣
(٣٠) الاعراف ١٥٧
(٣١) الانفال ١٠ ـ ١١
(٣٢) الانفال ٦٦
(٣٣) التوبة ١٤ ـ ١٥

﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى . . حرج . . ﴾[٣٤]

﴿ . . وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم . . ﴾[٣٥]

﴿يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾[٣٦]

﴿ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[٣٧]

﴿ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور . ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهبت السيئات عني انه لفرح فخور .الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير﴾[٣٨]

﴿وما ابرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الاّ ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم﴾[٣٩]

﴿ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم . . ﴾[٤٠]

﴿واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾[٤١]

﴿ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا﴾[٤٢]

﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾[٤٣]

﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين . ولا يزيد الظالمين الاّ خسارا ﴾[٤٤]

﴿واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسّه الشر كان يئوسا . قل

---

(٣٤) التوبة ٩١
(٣٥) التوبة ١٠٣
(٣٦) يونس ٥٧
(٣٧) يونس ٦٢
(٣٨) هود ٩ ـ ١١
(٣٩) يوسف ٥٣
(٤٠) الحجر ٨٨
(٤١) النحل ٦٨ ـ ٦٩
(٤٢) الاسراء ١١
(٤٣) الاسراء ٣٢
(٤٤) الاسراء ٨٢

كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا . ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الاّ قليلا﴾[٤٥]

﴿ . . . وكان الانسان قتورا﴾[٤٦]

﴿وترى الشمس اذا طلعت تزاورعن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهدِ الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا . وتحسبهم ايقاظاً وهم رقود وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾[٤٧]

﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا . الاّ أن يشاء الله ﴾[٤٨]

﴿قال : انك لن تستطيع معي صبرا . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبُراً ؟﴾[٤٩]

﴿قال : فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لامساسَ . . ﴾[٥٠]

﴿خلق الانسان من عجل سأوريكم آياتي فلا تستعجلون﴾[٥١]

﴿ولوطاً آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾[٥٢]

﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه . . ﴾[٥٣]

﴿ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا﴾[٥٤]

---

(٤٥) الاسراء ٨٣ ـ ٨٥
(٤٦) الاسراء ١٠٠
(٤٧) الكهف ١٧ ـ ١٨
(٤٨) الكهف ٢٣ ـ ٢٤
(٤٩) الكهف ٦٧ ـ ٦٨
(٥٠) طه ٩٧
(٥١) الانبياء ٣٧
(٥٢) الانبياء ٧٤ وانظر : الشعراء ١٦٥ ـ ١٦٦ ، النمل ٥٤ ـ ٥٦ ، العنكبوت ٢٨ ـ ٣٥
(٥٣) الأنبياء ٩٠
(٥٤) الحج ٥

﴿والذين هم لفروجهم حافظون . الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ﴾(٥٥)

﴿قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها . . . ﴾(٥٦)

﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله . . ﴾(٥٧)

﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشورا ﴾(٥٨)

﴿والذي هو يطعمني ويسقين ..واذا مرضت فهو يشفين﴾(٥٩)

﴿ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾(٦٠)

﴿ألم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ؟﴾(٦١)

﴿ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾(٦٢)

﴿ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(٦٣) .

﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله . . ﴾(٦٤)

﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾(٦٥)

---

(٥٥) المؤمنون ٥ ـ ٦
(٥٦) النور ٣٠ ـ ٣١
وانظر الاحزاب ٣٥
(٥٧) النور ٣٣
(٥٨) الفرقان ٤٧
(٥٩) الشعراء ٧٩ ـ ٨٠
(٦٠) النحل ١٢٧ ، النمل ٧٠
(٦١) النمل ٨٦
(٦٢) القصص ٧٣
(٦٣) الروم ٢١
(٦٤) الروم ٢٣
(٦٥) الروم ٣٠

﴿فاذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون﴾[٦٦]

﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾[٦٧]

﴿ انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظلوماً جهولاً ﴾[٦٨] .

﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون ؟﴾[٦٩]

﴿يطاف عليهم بكأس من معين . بيضاء لذة للشاربين. لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾[٧٠]

﴿واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنُصب وعذاب . اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾[٧١]

﴿الله الذي يتوفى الأنفسْ حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[٧٢]

﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ان الله لذو فضل على الناس . . .﴾[٧٣]

﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الاّ تخافوا ولا تحزنوا﴾[٧٤]

﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء . .﴾[٧٥]

---

(٦٦) الروم ٣٦
(٦٧) الاحزاب ٤
(٦٨) الاحزاب ٧٢
(٦٩) ياسين ٦٨
(٧٠) الصافات ٤٥ ـ ٤٧
(٧١) ص ٤١ ـ ٤٢
(٧٢) الزمر ٤٢
(٧٣) غافر ٦١
(٧٤) فصلت ٣٠
(٧٥) فصلت ٤٤

﴿فاذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾[٧٦]

﴿سنريهم آيتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ؟﴾[٧٧]

﴿وما كان لبشر ان يكلمه الله الاّ وحياً او من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم »[٧٨]

﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع ايمانهم . ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيماً ﴾[٧٩]

﴿ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج﴾[٨٠]

﴿يا ايها الدين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن إثم . ولا تجسسّوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم﴾[٨١]

﴿ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد﴾[٨٢]

﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد . لقد كنت في غفلةٍ من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾[٨٣]

---

(٧٦) فصلت ٥١
(٧٧) فصلت ٥٣
(٧٨) الشورى ٥١
(٧٩) الفتح ٤ ، ١٨ ، ٢٦
(٨٠) الفتح ١٧
(٨١) الحجرات ١١ - ١٢
(٨٢) ق ١٦
(٨٣) ق ٢١ - ٢٢

﴿وفي انفسكم افلا تبصرون ؟﴾[٨٤]

﴿فورب السماء والارض انه لحق مثلما انكم تنطقون﴾[٨٥]

﴿خلق الانسان . علمه البيان﴾[٨٦]

﴿ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الاّ في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾[٨٧]

﴿انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا . .﴾[٨٨]

﴿ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا﴾[٨٩]

﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾[٩٠]

﴿وان كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾[٩١]

﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا﴾[٩٢]

﴿وثيابك فطهر. والرجز فاهجر﴾[٩٣]

﴿لا أقسم بالنفس اللوامة﴾[٩٤]

﴿بل الانسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره﴾[٩٥]

﴿وجعلنا نومكم سباتا . وجعلنا الليل لباسا . وجعلنا النهار معاشا﴾[٩٦]

﴿قتل الانسان ما اكفره﴾[٩٧]

﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[٩٨]

---

(٨٤) الذاريات ٢١
(٨٥) الذاريات ٢٣
(٨٦) الرحمن ٣ ـ ٤
(٨٧) الحديد ٢٢ ـ ٢٣
(٨٨) المجادلة ١٠
(٨٩) الطلاق ٤
(٩٠) المعارج ٢٩
(٩١) الجن ٦
(٩٢) الجن ١٣
(٩٣) المدثر ٤ ـ ٥
(٩٤) القيامة ٢
(٩٥) القيامة ١٤ ـ ١٥
(٩٦) النبأ ٩ ـ ١٠
(٩٧) عبس ١٧
(٩٨) المطففين ١٤

﴿وتأكلون التراث أكلا لمّا . وتحبون المال حباً جمّا﴾[99]

﴿لقد خلقنا الانسان في كبد﴾[100]

﴿ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاها . وقد خاب من دساها﴾[101]

﴿أقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم﴾[102]

﴿كلا ان الانسان ليطغى . ان رآه استغنى﴾[103]

﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾[104]

﴿ قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق . ومن شر غاسق اذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد اذا حسد ﴾[105]

﴿قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذي يوسوس في صدور الناس . من الجنة والناس ﴾ .[106]*

---

(٩٩) الفجر ٢٠

(١٠٠) البلد ٤

(١٠١) الشمس ٧ ـ ١٠

(١٠٢) العلق ٣ ـ ٥

(١٠٣) العلق ٦ ـ ٧

(١٠٤) قريش ٣ ـ ٤

(١٠٥) الفلق ١ ـ ٥

(١٠٦) الناس ١ ـ ٦

(*) لم نأت في هذا التبويب على الايات المتعلقة بعلم الاجتماع ، لأن المعطيات القرآنية بجملتها تستهدف خلق مجتمع أفضل ، وتسلّط الضوء على الحالات الاجتماعية المنحرفة طارحة البدائل المتوازنة ، من ثم فان هذه المعطيات التي تعالج هذا الجانب واسعة متشعبة وقد عالجناها واحصيناها بشكل شامل في كتاب (التفسير الاسلامي للتاريخ) ، بما أن فلسفة التاريخ تعالج فيما تعالج مسائل كثيرة يعنى بها علم الاجتماع ، حيث يرتبط هذان الفرعان من المعرفة ارتباطاً وثيقاً .

مقاومة النمو الإسلامي في أمريكا*

جون إ. سوليفان

نمو الإسلام = التغيير الإجتماعي:

لقد أنعم الله علينا نحن الذين نعيش في الوقت الحالي في أمريكا الشمالية بأن أتاح لنا المشاركة في أكثر أنواع التغيير الإجتماعي أهمية، وإثارة؛ فإن التغيير من المجتمع القائم على أساس النظم المدنسة من صنع الإنسان إلى المجتمع الإسلامي القائم على أساس مشيئة الله يوازي قمة التغيير الإجتماعي.

والمجتمعات التي اختار فيها الناس الأخذ بأساليب تتعارض مع الأمثلة التي تركها لنا أنبياء الله، إذا وضعت موضع المقارنة مع المجتمعات الإسلامية تبدو مثل الظلام إلى النور؛ وكما أن الظلام لا يستطيع البقاء مع النور جنباً إلى جنب، فإن نور الإسلام يمحو الظلام الذي تبثه تلك المجتمعات الإنسانية المدنسة. وعلى مدى التاريخ، فإن المجتمعات التي يضع أعضاؤها إرادتهم الجماعية فوق إرادة الله تعتبر مجتمعات تعارض نمو الإسلام

---

*مقالة قدمت في ندوة اتحاد العلماء الاجتماعيين المسلمين حول علم الاجتماع وعلم الانسان اندياناپولس، انديانا، ٢١ ـ ٢٣ ابريل ١٩٧٨.

كما قدمت في المهرجان الثقافي الذي أقامه اتحاد طلبة جامعة الخرطوم بالسودان، الخرطوم، ١٠ ـ ٢٠ سبتمبر ١٩٧٨ حول: التغيير الاجتماعي في العالم الثالث في الوقت الحاضر.

ويقول الله

﴿ يا أيها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ﴾[القرآن ٤٩ : ١]

لقد أنذر الله المسلمين أن يتوقعوا وجود مقاومة للإسلام . ولقد كشف لهم أن الأشياء التي تملأ قلوب المؤمنين بالدهشة والبهجة هي ذات الأشياء التي تثير الغضب الشديد لدى المشركين .

يقول الله عن نمو الإسلام :

﴿ كزرع أخرج شطأه فآزره فاستلغظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾[القرآن ٤٨ : ٢٩]

وقد كشف لنا الله سبحانه في نفس هذه الآية عن الأربع مراحل الخاصة بالتغيير الإجتماعي والتي تتتابع إثر ظهور الإسلام ، ولكن مجال هذه المناقشة لن يسمح لنا بالتعمق في بيان هذه المراحل الأربعة . وبدلاً من ذلك فإنني سوف أذكر تلك المراحل مع التعليق المختصر على كل مرحلة .

المراحل الأربعة :

نظراً لأن نشأة المجتمع الإسلامي توازي قمة التغيير الإجتماعي ، فإن الله قد كشف لنا عن الأربع مراحل في الآية السابقة وفي الآية التاسعة والعشرين من سورة الفتح :

أ) يقارن الله سبحانه المرحلة الأولى بغرس بذرة . ولقد تحدث الأخ كلايد ـ أحمد وينترز عن تلك المرحلة بالنسبة لكل من شمال وجنوب أمريكا .

ب) وأما المرحلة الثانية للنمو فتقارن بفسيلة النبات الذي ينبت من البذرة التي تم غرسها ، وفي هذه المرحلة من التغيير الإجتماعي ، لا يتم اكتشاف القوة الحقيقة للإسلام بواسطة المشركين ، لأن ما يظهر من الإسلام ، (الفسائل) يبدو ضعيفاً وغير قادر على الصمود حتى في مواجهة نسمة ضئيلة (المقاومة) .

ولكن الشيء الذي لا يستطيع المشرك الذي يتسم بافتقاره للبصيرة أن يكتشفه هو أن هذه الفسيلة الهزيلة تكمن بها قوة عظيمة . وتحتاج بالضرورة الى قدر هائل من القوة حتى تشق طريقها من خلال التربة السميكة ، إلى سطح الأرض ، الحمد لله .

ج) والمرحلة الثالثة للنمو التي تم الكشف عنها في تلك الآية هي المرحلَة التي يصبح فيها ذلك النبت النامي شيئاً سميكاً (التأسيس) . ونستطيع أن نقارن تلك المرحلة بمرحلة التغيير الاجتماعي . التي تظهر فيها المؤسسات الإسلامية .

د) وأما المرحلة الرابعة فهي عندما يحوز الشيء الناتئ من البذرة على قوة كافية تمكنه من الوقوف على ساقه . ويحدث ذلك عندما يكون المجتمع الإسلامي قد تطور الى المدى الذي تحوز فيه الخمسة أعمدة في الإسلام على قوة تكفي لمؤازرة الأمة .

ونحن نجد أن الإسلام في أمريكا الشمالية لا يزال في المرحلة الأولى من النمو ، بمعنى أن بذور الإسلام لا تزال في مرحلة الغرس ، ولكنه في بعض الحالات المنفردة ، توجد بعض « الفسائل » التي تشق طريقها من خلال التربة .

مصدران للمقاومة

نظراً لأن الله قد حذرنا من وجود مقاومة للاسلام من قِبل المشركين ، فإن من واجب المسلمين أن يحللوا الأوجه المختلفة لتلك المقاومة حتى يعدوا الدواء الفعال . وفي هذا العرض سوف نحلل المصدرين التاليين للمقاومة :

١) إستغلال حاجة الإنسان للإنتماء . ٢) التنظيمات « الدنيوية » والتنظيمات الدينية التي يكون الإنسان محورها والتي ينتمي إليها الكثير من الأمريكيين . ويكمن أساس الأنواع المختلفة لمعارضة الإسلام بأمريكا الشمالية في حقيقة أن الكثير من النماذج الإجتماعية والنظريات في المجتمعات الإنسانية

المدنسة تتناقض مع مشيئة الله . وقد عبر الله عن تلك العلاقة التناقضية بين المجتمع القائم على أساس الإسلام وبين المجتمع الإنساني المدنس بقوله :

. . . . فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار
[القرآن ٤٨ : ٢٩]

استغلال الحاجة إلى الانتماء

المصدر الأول لمقاومة ظهور مجتمع إسلامي في أمريكا الشمالية والذي سنناقشه يأتي نتيجة لاستغلال حاجة الإنسان للانتماء على مدى سنوات ؛ ويقال إنه يتم إستغلال تلك الحاجة عندما يُحث الناس على الاعتقاد في قدرة التنظيمات التي يكون الإنسان محوراً لها والإيمان باستطاعتها في القيام بإنجازات أكثر من التنظيمات التي تقوم على أساس مشيئة الله ؛ وفي المجتمعات الإسلامية المدنسة يعتمد الإنسان بشدة على غيره من بني الإنسان الذين يعتبرون « خبراء » ويتم تشجيع أعضاء هذه المجتمعات على الانتماء إلى تنظيمات تقع تحت سيطرة هؤلاء الذين يسمون « بالخبراء » والذين يدعون أنهم يستطيعون الايفاء بحاجة الإنسان للانتماء . وكنتيجة لهذا النوع من الشرك ، فإن الاعتماد على الله الذي وجد في الإنسان منذ أن خلق يتحول ببطء إلى نوع من الاعتماد على البشر ، والآلات ، والمؤسسات[٢] .

وفي تلك الحالة ، نجد أن المقاومة الفعلية للإسلام تنبع من هؤلاء الناس ومؤسساتهم (المقاومة المؤكدة) حيث لا يرغبون أبداً في رؤية المجتمع وقد تحرر من التبعية الاصطناعية للشرك . إن الخضوع التام ، أي خضوع النفس بصفة تامة لمشيئة الله (أي للإسلام) يحرر الإنسان من التوجه الخاطئ بحاجته في التوكل إلى من يسمون « بالخبراء » أو أي شيء آخر .ولذلك ، فإن الإسلام يستطيع أن يزيل سيطرة هؤلاء الناس على أعضاء التنظيمات التي يكون الإنسان محوراً لها .

وفي الآيات التالية ، يكشف لنا الله عن درجة الحرية والقوة التي يمكن

اشتقاقها من **الإعتماد التام** ، في حالة كون ذلك **الإعتماد التام** على الله سبحانه وتعالى :

﴿واذكر إسم ربك وتبتَّل إليه تبتيلا﴾[٧٣ : ٨]

﴿رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا﴾[٧٣ : ٩]

﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾[٣٩ : ١٤]

﴿إلا الذي فطرني فإنه سيهدين﴾[٤٣ : ٢٧]

والمشكلة الرئيسية المتعلقة بالإعتماد الشديد على « الخبراء » هي **أن** البشر ليس لديهم إلا معرفة محدودة . مثلاً ، الخبراء في التخطيط المديني والتخطيط الإجتماعي ، يدركون أن الإنسان لديه إحتياجات ، ولكن هؤلاء الخبراء ليست لديهم المعرفة التي تمكنهم من إعداد البرامج التي تستطيع الإيفاء بحاجات الإنسان . **بل إن واحدة من المشاكل الرئيسية التي تواجه أعضاء المجتمعات الذين اختاروا التطور بأساليب تتعارض مع الأمثلة التي تركها لنا أنبياء الله ، هي أنه لا يزال هناك إستغلال لحاجاتهم بدلا من الإيفاء بها** . ولقد كانت الحاجة التي تم إستغلالها في أمريكا الشماليةهي الحاجة إلى الإنتماء .

أما مدى إضفاء القيمة على الانتماء في المجتمع الأمريكي في الوقت الحاضر فتظهر في الدرجة التي أقام فيها المجتمع الأمريكي مؤسساته بغرض تكييف واستغلال تلك الحاجة الإنسانية الأساسية ، وتوجد الكثير من التنظيمات التي يستطيع المواطن الأمريكي أن ينتمي إليها طوال حياته .

ففي فترة الصبا يستطيع الأمريكي الإنتماء ، إلى الجرموز وفيما بعد إلى الكشافة ؛ ويستطيع الشاب في الجامعة الإنتماء إلى الأخوة اليونانية ، وفي مجال العمل يستطيع الإنتماء إلى اتحادات العمال والتنظيمات المهنية ، وإلا فإنه سوف يواجه ضغطاً اجتماعياً من زملائه . أما الشخص في أواسط العمر في المجتمع الأمريكي ، فإن أمامه مجموعة من الأندية والتنظيمات التي يستطيع هو أو هي

الانتماء إليها ، مثل ناديELKS أو النادي الريفي المحلي . أما بالنسبة للأمريكيين من كبار السن ، فإننا نجد أن ما يساهم إلى حد كبير في شعورهم بالعزلة هو نقص التنظيمات المتاحة لهم ، بعد مضي تلك السنوات العديدة من « الانتماء » والاندماج في نشاطات المجتمع .

ويوجد الكثير من الأمريكيين الذين ينتمون إلى عديد من الأندية أو التنظيمات في وقت واحد ، ويؤدي ذلك إلى انقسام أو توزيع ولاءاتهم . وعلى عكس ذلك ، فإن « عدم الانتماء » يؤدي إلى تعرض الشخص للخزي الاجتماعي ، « فعدم الانتماء » يوازي اعتبار الشخص « دخيلا » أو حتى عدواً لمصلحة المجتمع . وهو قد يعني افتقاراً إلى التكييف من قبل ذلك الشخص أو تعبيراً عن اتجاه غير صحي تجاه « الروح الأمريكية » . وسوف يكون الاستنتاج في تلك الحالة هو أن مثل ذلك الشخص يعاني من مشكلة نفسية .

وتوجد أهمية عظيمة ترتبط بالانتماء للولاءات المعينة المقر بها . فإن الإنتماء إلى عقائد معينة يعد شرطاً أساسياً لكون الشخص أمريكياً . وبالنسبة لبعض الأمريكيين ، فإن ما يحثهم على الانتماء إلى الكنيسة هو نوع من الشعور بالواجب أو الوطنية ، ولكن الوطنية هي واجب/ الحب تجاه الوطن وليس تجاه الله ، ودائما ما يضفي على الانتماء إلى الكنيسة نفس الأهمية النفسية الروحية ، والنفسية الاجتماعية التي تضفي على الإنتماء إلى النادي الريفي المحلي أو على كون الشخص متطوعاً في هيئة الإطفاء ، فإن ذلك يمثل « النمط الأمريكي للسلوك » . والصورة التي يمكننا أن ندركها هي صورة يُقبل فيها الدين باعتباره جزءاً طبيعياً من أسلوب الحياة الأمريكي .

وأما فشل الشخص في أن يعرف نفسه ، إما باعتباره بروتستانتياً أو كاثوليكياً فإن ذلك يؤدي بكيفية ما إلى اعتبار ذلك الشخص غير أمريكي ، ويعني ذلك أن الشخص الذي يعلن أنه بوذي أو مسلم سوف يعد كشخص أجنبي : فالشخص الذي يعلن ولاءه للإسلام قد يعتبر « أجنبياً » حتى إذا كان مواطناً أمريكياً بالمولد . وأحياناً قد يعني عدم انتماء الشخص إلى جماعات أو ولاءات

معينة ، أن ذلك الشخص « ليس بأمريكي » . وتلك هي الحالة بالنسبة لهؤلاء الذين يعلنون أنهم يعتنقون مذهباً مخالفاً أو حتى يعتنقون « الفلسفة الإنسانية » . ففي الستينات ، نجد أن هؤلاء الأمريكيين الذين كانوا يعارضون حرب فيتنام بسبب معتقداتهم « الإنسانية » كانوا يعتبرون غير أمريكيين . إن اعتبار الشخص أمريكياً في الوقت الحاضر يستوجب إنتماءً دينياً معيناً ، باعتبار أن الشخص يجب أن يكون إما بروتستانتيا ، أو كاثوليكياً ، أو يهودياً إلى حد ما وإلى درجة لم يسبق لها مثيل في تاريخ أمريكا . إن الطريق الوحيد لاعتبار الشخص أمريكياً هو أن يكون إما بروتستانتياً ، أو كاثوليكياً ، أو يهودياً[٣] . ومن الهام أن نلاحظ في هذه النقطة أن اليهود يحوزون على مركز الند في أمريكا . فهم ليسوا بمثابة جماعة قائمة بذاتها أو جماعة دخيلة على المجتمع ، ولكنهم يعتبرون الند بمقتضى الفكر السائد . . . إن اليهود ، والبروتستانتيين، والكاثوليك يكوِّنون ما أطلق عليه ، ويل هربرج « قدر الانصهار الثالوثي » في أمريكا[٤] .

المنظور التاريخي

يجب أن نكرس بعض الوقت للنظر في بعض الجذور التاريخية لذلك الإتجاه الغربي المعين عن العالم من أجل أن ندرك على الحقيقة أهمية فكرة « الإنتماء » في المفهوم الإجتماعي ـ السيكولوجي الأمريكي .

لقد قام اليونانيون باتخاذ تلك العادة المميزة التي بمقتضاها يبحثون عن أكثر النقاط ارتفاعاً في المنطقة التي يعيشون بها ، ويعلنون أن جميع الأراضي التي يمكنهم رؤيتها من ذلك المرتفع المختار بعناية تنتمي لهم[٥] ! ولقد كان ذلك يعني أن أي مجموعة من الناس تأتي إلى تلك المنطقة فيما بعد كانت تعتبر «أجنبية» أو « كماً مهملاً » ، ومن ثم تعتبر مصدر تهديد . ولقد نقل اليونانيون تلك العقلية معهم ، إلى الأراضي التي قاموا بغزوها ، وكان ذلك يعني أن السكان الأصليين بمقتضى رفض قبولهم في المجتمع اليوناني كانوا يعدون بمثابة « تهديد

أجنبي » ، حتى إذا كانوا يعيشون داخل حدودهم الخاصة بهم . ولقد تخللت تلك الصورة العقلية المعينة جميع فترات الحكم الغربي الذي عرف باسم الصليبيين ، والإمبريالية ، والإستعمار بل وحتى الإستعمار المحدث .

ولا نزال نستطيع ملاحظة هذه العقلية في الوقت الحالي في أمريكا عندما يشكو أعضاء جماعة من سوء المعاملة من المسؤولين المحليين ؛ إذ نجد أن استجابة الساسة تتمثل في إقرارهم أن الأهالي ليسوا هم في الحقيقة الذين يثيرون الإضطراب . فهم يدعون أن من أثار المتاعب هم « المهيجون الخارجيون » . الذين جاءوا إلى الحي « وأثاروا » مشاعر عدم الرضا بين الناس .

إن ذلك المنظور التاريخي يجب أن يعاون المسلمين في إدراكهم وجود ذلك التأييد الإجتماعي ـ النفسي لمقاومة التغيير الإجتماعي المتجه تجاه الإسلام في أمريكا . وإذا ذكرنا الأمر بطريقة مبسطة ، فإن الشخص في الوقت الحاضر يجب أن يكون إما بروتستانتياً ، أو كاثوليكياً ، أو يهودياً ، من أجل أن يعد « أمريكياً » وإنه إذا كان مسلما ، أو هندوسياً ، أو بوذياً فإنه سوف يعتبر أجنبياً وكما مهملا ، ومن ثم سوف يعتبر مصدر تهديد . إن المسلمين ، بعد أن حازوا على ذلك الإدراك ، يستطيعون البدء في توقع بعض ردود الفعل من جانب الأمريكيين ذوي السلطة ، الذين يتمثلون في العلماء الإجتماعيين الأمريكيين ، والساسة ، ورجال الدين تجاه النماذج الإسلامية للتغيير الإجتماعي ، المتمثلة في القرآن والحديث

ونحن نتوقع تلك المقاومة لأننا لا « ننتمي » إلى قدر « الانصهار الثالوثي » . ولقد أنذرنا الله بأنه لا يجب أبداً أن نناضل من أجل أن نصبح جماعة داخل الجماعات الأخرى ، أو حتى من أجل أن نصبح بمثابة أعضاء متساويين ، عندما قال :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولَّهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [القرآن ٥ : ٥٤] .

ولسوء الحظ ، فإن الكثير من إخواننا قد فشلوا في تنفيذ أوامر الله في أثناء محاولتهم مواجهة المقاومة التي يقابلون بها عند ذهابهم إلى أمريكا . فقد كانوا يحاولـون الحصـول على المسـاواة . كيف ؟ بوضعهـم ثقافتهـم الغـربية فوق إسلامهم . ولقد حاولوا الحصول على وضع من ينتمي لجماعة قائمة بذاتها . كيف ؟ بوضعهم جنسيتهم فوق الإسلام في محاولة منهم للسير مع « الاتجـاه السائد » ، طبقاً لاعتقادهم الخاطىء بأن الجماعات العرقية الأخرى قد اتبعت ذلك الأسلوب . وقد فسر الله لنا بوضوح خطأ تلك الأفعال عندما قال :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ﴾[القرآن ٤٩ : ١]

وما نستطيع أن نقوله هو أنه بالنسبة لتلك الحالات المعينة يجب ان نقـدم نماذج التغيير الإجتماعي الخاصة بنا - أي القرآن والحديث - إلى إخواننـا الـذين يشعرون « بحاجتهم إلى الانتماء » لبعض أوجه المدنية الأمريكية بدلاً من جماعة الإسلام:

التنظيمات الدينية التي تتركز حول الإنسان

السبب الرئيسي الذي يجعلنا نقـول بوجـود استغـلال تلك الحاجـةإلـى الإنتماء ، في المجتمع الأمريكي هو أن الله وحـده هو الـذي يستـطيع الإيفـاء بحاجات الإنسان ، والتنظيمات التي تتركز حول الإنسان تستغل تلك الحاجة البشرية للانتماء عندما تتدعي أن تنظيماتها المعينـة هي «الطـريق» إلى السعـادة والرخاء.

وسوف نركز الجزء الثاني من هذه المناقشة على التنظيمات الدينية التي تتركز حول الإنسان والتي ينتمي إليها الكثير من الأمريكيين (أنظر في الجدول أ) . . إن الإنتماء ، إلى ولاءات معينة يحوز على قيمة كبيرة وهو يعد جزءاً من التعريف الشامل لكون الشخص « أمريكياً » والتنظيمات الدينية التي تتركز حول الإنسان تتشابه عن قرب مع « التنظيمات الدنيوية » في المجتمع الأمـريكي بالرغـم من

ادعاء الفصل بين الكنيسة والدولة ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن كلاً من نوعي تلك التنظيمات يتركز حول الإنسان . ولقد وصف ويل هربرج بشكل ملائم ، القوى المحركة للتنظيمات الدينية التي تتركز حول الإنسان ، عندما قال :

إن الرخاء ، والنجاح ، والتقدم في العمل تعد الغايات الواضحة التي من المقرر أن الدين ، أو الإتجاه الديني المتمثل في « الايمان » يعد مفيداً بالنسبة لها . وفي المعتاد فإنه ليس ثمة إنتقاد لتلك الغايات في حد ذاتها من قبل الولاءات النهائية المتعلقة بالإيمان بالله ، ولكنه بالنسبة لهذا النوع من الدين نجد أن الإنسان ليس هو الذي يكرس لخدمة الله ، ولكن الله هو الذي يكرس لخدمة الإنسان ، وأغراضه . . . سواء كانت تلك الأغراض تتمثل في الرخاء الإقتصادي ، أو حرية المشروعات ، أو الإصلاح الإجتماعي ، أو الديمقراطية ، أو السعادة ، أو الأمن أو « الطمأنينة »[٦] .

ومرةأخرى ، فإن المقاومة تظهر عندما يدرك الناس الذين يعدون محوراً لتلك التنظيمات « الدينية » أو الدنيوية أنهم قد يفقدون النفوذ والسلطة التي يحوزون عليها بمقتضى مراكزهم . ومن بين التنظيمات العديدة المتركزة حول الإنسان في هذه الدولة ، نستطيع أن نتوقع أقصى المقاومة للنمو الإسلامي من قبل تلك التنظيمات للأسباب التالية ·

١) نجد أن الكنيسة المسيحية ، على مدى التاريخ ، كانت دائما في المقدمة لمقاومة الإسلام ونموه .

٢) يوجد عدد كبير من الأمريكيين الذين ينتمون إلى العقائد الدينية والتنظيمات التي ينشدون من خلالها بعض الإسهام في إثبات هويتهم باعتبارهم أمريكيين .

٣) إن تلك التنظيمات تزود أعضاء هذا المجتمع بالتبريرات « الروحية » والتسويفات العقلية ، التي يحتاجون إليها بمقتضى اختيارهم الانتماء للتنظيمات

التي تتركز حول الإنسان بدلا من تلك التي تتركز حول الله .

إن الهدف من تحليل هذين العاملين لمقاومة الإسلام هو توضيح فهم المسلمين بالنسبة لدرجة الظلام السائدة في أمريكا . وقبل أن نستطيع حتى مفاتحة المشركين بالنسبة للإسلام ، يجب أن ندرك أولاً موقفهم الحقيقي ، ونظراً لأن أمريكا الشمالية ومؤسساتها ومنظماتها تتخذ من الإنسان محوراً لها ، وأن أساس المجتمع الإسلامي هو الشهادة « لا إله إلا الله » ، فإن المقاومة التي يجب أن نتوقعها سوف تقوم على أساس الحقائق البديهية التالية :

١) إن منطقنا هو اللامنطقية بالنسبة للمشركين .

٢) وإن قوتنا هي ضعفهم .

٣) ومصدر أمننا هو مصدر خوفهم .

٤) وما يثير عجبنا وبهجتنا هو ما يؤدي إلى غضبهم الشديد [القرآن ٤٨ : ٢٩]

مواجهة المقاومة

قد زوّد الله برحمته الواسعة المسلمين بالوسائل التي تمكنهم من مواجهة هذين النوعين من المقاومة . فالكيفية التي نتمكن بها من مواجهة الظلام المتمثل في شكل المقاومة ، هي النور المتمثل في المعرفة . فلننظر فيما كشف لنا الله عنه من أجل معاونة المسلمين بالنسبة لتلك المشكلة المعينة .

أولاً : المشكلة ليست هي أن الإنسان في حاجة إلى الإنتماء ، ولكنها تتمثل في أنه قد تم استغلال تلك الحاجة بتوجيهها وجهة خاطئة بعيدة عن الله . فالحاجة للإنتماء تعد طبيعية لأن الله أخبرنا أنه قد خلق البشر بتلك الكيفية :

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ [القرآن ٤٩ : ١٣]

وهذه الآية توضح لنا أن الإنسان يجب أن ينتمي لجماعة (الأمة أو القبيلة) لو أنه أراد إخضاع مشيئته لمشيئة الله .

ثانياً : قد أوضح الله لنا حاجتنا إلى الإنتماء لمولى واحد فقط بدلاً من الإنتماء في وقت واحد إلى العديد من الأندية والتنظيمات التي تتركز حول الإنسان . ويمكننا فهم تلك التعليمات بأفضل صورة عندما ننظر في الآية التالية :

﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سَلَماً لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾[القرآن ٣٩ : ٢٩]

ثالثاً : إن الله سبحانه قد كشف لنا عن الرفقةِ الحسنة التي يحتاج الناس إلى الإنتماء إليها ، عندما قال :

﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقاً﴾[القرآن ٤ : ٦٩]

﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا . . . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾[القرآن ٥ : ٥٤]

فقد أوفى الله بحاجات جميع الخلق . وبالنسبة لحاجة الإنسان للإنتماء فإن الله قد اقام جماعات معينة إحداها هي الرفقة الحسنة التي تتكون مما يأتي :

١) جميع من يطيعون الله ورسوله .

٢) النبي المعلم .

٣) محبو الحقيقة المخلصون

٤) الشهداء الذين يدلون بالشهادة .

٥) الصالحون الذين يفعلون الخير .

٦) هؤلاء الذين يقيمون الصلاة بانتظام .

٧) هؤلاء الذين يتصدقون على الفقراء .

٨) هؤلاء الذين يركعون لله خشوعاً له .

رابعاً : قد اخبرنا الله أن من الممكن الإيفاء بالحاجة إلى الإنتماء في إطار العائلة الإنسانية عندما قال :

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء﴾ [القرآن ٤ : ١]

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ [٤٩ : ١٣]

وتعلمنا هاتان الآيتان أنه لا توجد في الحقيقة أشياء مثل جماعات قائمة بذاتها ، أو جماعات دخيلة ، أو جماعات متساوية . فإن تلك الأشياء تعد من ابتداع الإنسان ، ومن تصميمه وصنعه من أجل خدمة أغراض التنظيمات التي تتركز حول الإنسان . لقد أوضح الله أننا بمقتضى مولدنا **ننتمي** إلى الجنس البشري . وإن الإنسان هو الذي قام بتقسيم المجتمع إلى طبقات اجتماعية وإلى أجناس داخل المجتمعات .

خامساً : إن الله قد كشف لنا أن المؤمنين ينتمون إلى أخوة واحدة ، وأن التقوى هي التي تدعم الروابط النفسية ـ الإجتماعية ـ الروحية ، بين أعضاء تلك الأخوة عندما قال :
﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ [٤٩ : ١٠]

إن واحداً من الأسباب التي تجعلنا في حاجة إلى الإنتماء للجماعات هو أنها تزودنا بنوع من الشعور بالأمن . ودائما ما ينشد الإنسان الجماعات حتى توفر له الحماية . فمثلا في المجتمع الرأسمالي ، ينشد الناس اتحادات التسليف ، وشركات الإستثمار ، أو شركات التأمين حتى يحموا أنفسهم ضد الدمار المالي . ولكن المسلمين يعرفون أن جميع ما يحتاجه الإنسان لحمايته هو إخضاع مشيئته لمشيئة الله ، ونحن نعرف أن الله هو الكافي ، فقد قال سبحانه :

﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ [٨ : ٦٤]
﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون﴾ [٩ : ٥٩] .

والأمن الذي ينشده الإنسان من انتمائه إلى التنظيمات التي تتركز حول الإنسان يكون دائماً أمنا ضد فقدان شيء في حياته . وبمقتضى ذلك فإن الإنسان يصبح أكثر إرتباطاً بالحياة عن الآخرة ومن ثم فإنه يفقد إدراكه بالتوازن والعدل . وطبقاً لذلك ، سوف تتشوه القيم الحقيقية ، وسوف يفضل الحصول على « الأمن » ضد فقدان الأشياء المادية ، في هذه الحياة المؤقتة بدلاً من الحصول على الأمن في الآخرة الخالدة .

والشيء السادس : الذي أوحى به الله للإنسان ليضيء له الطريق يتعلق بالأمن **الحقيقي** الذي يجب على الإنسان أن ينشده في حياته. وفي الآيتين التاليتين يكشف لنا الله أن الإسلام يزود الإنسان بالملاذ الوحيد الآمن . وفي حين أن هؤلاء المحيطين بنا قد « اختطفوا بعيداً » بواسطة الشيطان وأتباعه ، فإن الله قد وعد المسلمين بالأمن ، ذلك الأمن الذي يخدعون أنفسهم باعتقادهم أنهم يستطيعون الحصول عليه من بني الإنسان الآخرين :

﴿ وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾[٢٨ : ٥٧]

﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويُتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴾[٢٩ : ٦٧]

وفي حين أن الناس قد يضللونا أو يساهمون في عدم أمننا ، فإن الله يزودنا بأقصى الأمن ضد أي معاناة تنتج عن فقدان أي شيء لدينا ، طبقا لما يلي :

١) إن جميع ما يقع تحت تصرفنا في الحياة يعد في الحقيقة وديعة أودعها الله لدينا . ومن ثم فإنه من المستحيل بالنسبة لنا أن نفقد أي شيء نظراً لأنه ليس ثمة شيء ينتمي إلينا .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾[٨ : ٢٧]

٢) أعمالنا فقط هي التي تسير أمامنا . ويعني ذلك أن الشيء الوحيد الذي سنأخذه معنا إلى الآخرة بعد موتنا هو أعمالنا . ويؤكد لنا الله أنه لن يضيع أبداً أجر أي عمل نقوم به .

﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير﴾[٢ :١١٠]

﴿ كلوا وأشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾[٦٩ : ٢٤]

ونجد أن الله بمقتضى عدالته ، لم يخلق تلك الحاجة للإنتماء في الإنسان فحسب ، ولكن الله أيضاً قد بين لنا الوسيلة **الوحيدة** للايفاء بتلك الحاجة . فالتنظيمات التي تتركز حول الإنسان لا تفيدنا بشيءسوى أنها تستغل حاجتنا للإنتماء ، لأنه ليس ثمة إنسان أو منظمة يمتلك المعرفة المتطلبة للإيفاء بحاجات غيره من بني البشر ، وإذا اعتقدنا عكس ذلك فإننا نكون من المشركين . وفيما يلي سوف نقدم الوسائل التي تؤدي للإيفاء بحاجة الإنسان للإنتماء :

١) الجماعات والتنظيمات التي تتركز حول الله ، لأن الإنسان لا يستطيع إلا أن يكون له مولى واحد لو أنه أراد أن يعيش في سلام على الإطلاق .

٢) الرفقة الحسنة كما وصفها الله في القرآن .

٣) العائلة البشرية التي يكون الأساس الوحيد لتقسيمها إلى طبقات هو مشيئة الله وليس التحامل والتحيز الإنساني .

٤) الأخوة الوحيدة التي وصفها الله في القرآن والتي تكون رابطتها الوحيدة هي التقوى .

٥) الملاذ الآمن حينما لا يخشى الإنسان فقدان أي شيء دنيوي لعلمه أنه ليس ثمة شيء يفقد مع الله أبداً .

ونظراً لأن الله قد كشف للإنسان عن الأشياء البديلة للتنظيمات المتركزة حول الإنسان بغرض الإيفاء بحاجته للإنتماء ، فقد تركت للإنسان مسؤولية الإختيار . وبالنسبة لمواجهة المقاومة النابعة من التنظيمات الدينية المتركزة حول الإنسان ، فيجب أن نكون على استعداد لإقامة مؤسسات إسلامية بديلة . والحل الوحيد لهذه المشكلة هو تأسيس دعامة الإسلام التي تتمثل في الشهادة « لا إله إلا الله » إن إصرار المشركين على تفضيل الأشياء الدنيوية عن التقرب إلى الله في الآخرة ، إلى جانب خشيتهم فقدان الأشياء المادية أكثر من خشيتهم فقدان حب الله لن يمر بغير عقاب من الله :

﴿قل إن كان أباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾[٩ : ٢٤]

إن موقفنا يجب أن يكون متماثلا مع موقف النبي محمد عندما ووجه بالمقاومة الشديدة . فقد أوحى الله إلى النبي :

﴿ قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين﴾ [سورة الكافرون:١٠٩]

وسوف تكون ثمة مقاومة متزايدة لانتشار الإسلام في أمريكا ، إلى أن يحين الوقت عندما نقول عن الإسلام ﴿ فاستوى على سوقه ﴾[٤٨ : ٢٩] . لقد أوصى الله للمسلمين بالكثير من الآيات التي تعلمنا كيفية مواجهة تلك المقاومة :

١) لقد كشف لنا الله أننا لا يجب أن نخشى المشركين :
﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾[٦ : ٨١]

﴿ الـذين آمنـوا ولـم يلبسـوا إيمانهـم بظلـم أولئـك لهـم الأمـن وهـم مهتدون ﴾ [٦ : ٨٢]

٢) ولقد كشف لنا الله أنه سوف تكون لنا أعمالنا وسوف تكون للمشركين أعمالهم ، ويجب أن يرتقب كل منا ثمرات أعماله :

﴿ ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب ﴾ [١١ : ٩٣] (انظر أيضـا في : ٦ : ١٣٥ ، ١١ : ١٢١ - ١٢٢)

٣) ولقد كشف لنا الله الموقف المناسب الذي يجب أن نتخذه تجاه المقاومة النابعة من الغطرسة التي تنبع بدورها من الجهل :

﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ [٢٥ : ٦٣]

٤) ولقد كشف لنا الله عن الحاجة إلى الصبر بين المؤمنين . ولكنه لا يجب الخلط بين ذلك الصبر وبين السلبية . فإن الصبر يعني الجهاد المثابر في سبيل إقرار الحقيقة ، الذي يعد جهاداً في سبيل الله . وإنه ينتظر منا أن نكون صابرين لأننا نحوز على المعرفة ، تلك المعرفة بعدل الله وبأنه هو أفضل من يقرر جميع المسائل بين المؤمنين والمشركين :

﴿ قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم ﴾ [٣٤ : ٢٦] فليمنحنا الله القوة لإنجاز ما أمرنا به .



الجدول أ

النسبة المئوية لإجمالي السكان الأعضاء في الكنيسة

* اعضاء الكنيسة

باعتبار نسبتهم المئوية من إجمالي السكان	التاريخ
٪١٦	١٨٥٠
٪٢٣	١٨٦٠
٪١٨	١٨٧٠
٪٢٠	١٨٨٠
٪٢٢	١٨٩٠
٪٣٦	١٩٠٠
٪٤٣	١٩١٠
٪٤٣	١٩٢٠
٪٤٧	١٩٣٠
٪٤٩	١٩٤٠
٪٥٧	١٩٥٠
٦٣,٦	١٩٦٠
٪٦٢,٤	١٩٧٠

المصدر : **الكتاب السنوي للكنائس الأمريكية والكندية** طبعة بنسون ي . لانديس ، هيئة البحث التابعة للمجلس القومي الخاص بكنائس المسيح بالولايات المتحدة الأمريكية . نيويورك ، ن . ي . ١٩٥٨ إلى ١٩٧٦

المـراجع

١ ـ وينترز ، كلايد أحمد . « بوادر الإسلام في شمال وجنوب أمريكا » **الاتحاد** ، المجلد ١٤ ، نمرة ٣ ـ ٤ . المطبوعات البيانية العالمية ، ١٩٧٧ ، ص ٥٧ .

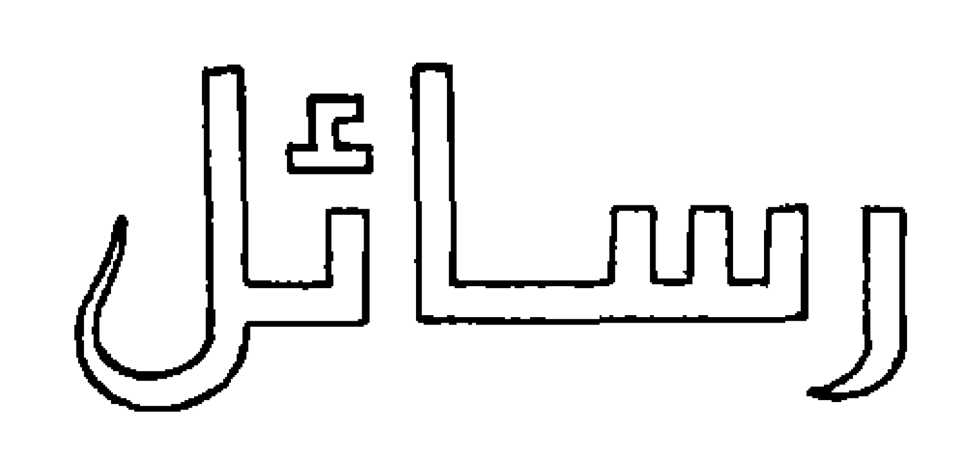
٢ ـ حامد ، دكتور رشيد ؛ « أفكار حول الشخصية الإسلامية المتوازنة » **من المسلم إلى الإسلامي** . المجلد ١ ـ المطبوعات البيانية العالمية ، ١٩٧٦ ، ص ٥٣ .

٣ ـ هربرج ، ويل « اليقظة الدينية في الولايات المتحدة » **التغيير الاجتماعي** : المصادر ، والأنماط والنتائج (كتاب مدرسي) نشر بواسطة أميتاي وإيفا إتزييوني ، الكتب الأساسية ، نيويورك ، ولندن ، ١٩٦٤ ، ص ٢٣١ .

٤ ـ نفس الشيء ، ص ٢٣٠ .

٥ ـ سبنجلر ، أزوالد : « **تدهور الغرب** » الجزء ١ ، الناشر ألبرت أ . كنوبف ، ١٩١٨ ، ص ١٤٥ .

٦ ـ هربرج ، ويل : « اليقظة الدينية في الولايات المتحدة » **التغيير الإجتماعي** : المصادر ، والأنماط والنتائج (كتاب مدرسي) . نشر بواسطة أميتاي وإيفا إتزييوني . الكتب الأساسية ، نيويورك ، لندن ١٩٦٤ ، ص ٢٣٤ .



القرآن

اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين

رسالة دكتوراه تقدم بها محمد إبراهيم شريف، المدرس المساعد الى كلية دار العلوم / قسم الشريعة الإسلامية ، إشراف الشيخ عبد العظيم معاني وأجيزت بـ (مرتبة الشرف الأولى) في ١١/٢/١٩٧٩ م

بدهي أن يكونَ القرآن محور دراسات عديدة ومتنوعة ، فقد وجد العلماء فيه ضالتهم وأخذ كل منهم لفنه بقدر فهمه للنص القرآني وما يستلزمه هذا الفهم من أدوات وطاقات . ولقد تقرر ثراء النص القرآني كحقيقة ، الأمر الذي نوّع المدارس وعدَّد الاتجاهات في شرحه وتفسيره ، غوصاً وراء مراميه ، وطلباً لوجوه الهداية فيه .

وقد كان حظ مصر كغيرها من بني الإسلام معايشة للقرآن ،واستلهاماً له ، غير أنها كانت أوفر حظا من غيرها ، حيث تولت ـ بعد إغلاق باب الاجتهاد ـ دورا رائداً في بعث الفكر الإسلامي والرجوع به إلى مصدره الأول ، كما كانت أمل العودة به إلى حركة نشطة خلاقة ، تدعوه دائما إلى مراجعة ذاته بين حين وآخر ، ليتخلص من زيف عصور التخلف ، ويعود نقياً من جديد .

وقد كان هذا سببا من أسباب وجود دراسة تحمل عنوان « اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين » ترصد جوانب التجديد ، وتستجلي ملامحه ، وتؤصل مبادئ اتجاهاته ، وتتعرف جديد مناهجه ، وتستوضح حجج المعارضين لهذه وتلك ، وتقف أمام محاولات التجديد على اختلاف مناهجها . إلى غير ذلك مما يقتضيه البحث منهجا وموضوعا .

واختيار الباحث ميدان التفسير أمر له ما يسوغه عنده « وحيث كان تفسير القرآن الكريم هو قطب رحى الفكر الإسلامي ، فقد كانت قضية التجديد فيه ، وشرعية هذا التجديد وأسسه - مسايرة لروح العصر من جهة ، وتمثلاً صحيحاً لطبيعة الفكر الإسلامي وأصوله من جهة ثانية - مثار الاهتمام من حيث مواكبة التفسير القرآني لقضايا الأمة التي يفرضها العصر ، والتزامه بتقديم كلمة القرآن فيما يعترضها - في نهضتها الجديدة - من مشكلات ، ومن هنا بدا واضحاً في التفسير الجديد اعتناؤه بالتطبيق الواقعي الذي ميزه كثيراً عما سبقه من تفسيرات العصور السابقة . وتشهد على ذلك أية نظرة سريعة - فضلاً عن أن تكون دراسة فاحصة - تلقى على تفسير حديث ، وآخر ينتمي إلى عصور سالفة » .

ولأن الموضوع يتعرض لحركة التفسير القرآني في مصر خلال السنوات الخمس والسبعين الأخيرة ، وهذا اتساع فكري يجعل الإحصاء والرصد الدقيق لكل ما كتب أمراً صعباً ، لهذا وغيره من أسباب منهجية فقد اختار الباحث منهج الإختيار والانتخاب خاصة في المباحث التي تعرضت للمحاولات التفسيرية الممثلة للاتجاهات المتنوعة والدالة على المناهج المختلفة فيها ، كما اختار الباحث منحى إدارة الحديث عن التجديد التفسيري في مختلف اتجاهاته ، من خلال القضايا المهمة التي شغلت المسلمين حديثا ، وظهرت فيها جهود المفسرين التجديدية واضحة .

● جاءت الدراسة في مقدمة وثلاثة أبواب :

● شغلت المقدمة بما تشغل به عادة من حديث عن الموضوع اختياراً ومنهجا .

●● أما الباب الأول فكان « **تمهيدات على طريق الدراسة** » عالج من خلال مباحثه ما ظنه الباحث ضروريا في باب تحديد المصطلح ، وبيان طريقة المعالجة والأداء . وقد جاء في فصلين تناول الأول منهما « بعض القضايا

والمصطلحات التفسيرية» فاشتمل على ثلاثة مباحث : **أولها** : عن النشاط المصري في تفسير النصوص المقدسة القديمة ، والقرآن الكريم ، وقد استهدف هذا المبحث بيان دور المصريين في مجال تفسير القرآن الكريم ووضعه في مكانه الصحيح من تاريخ التفسير ، خاصة وأن كثيرين من مؤرخي الثقافة الإسلامية ، في العصرين الوسيط والحديث قد غفلوا عن هذا النشاط المصري الرائع . **أما ثاني هذه المباحث** : فقد غطى قضية هامة وخطيرة إذ تحدث عن قضية الغزو الفكري وأثره في ثقافتنا الإسلامية عامة ، وفي التفسير القرآني خاصة وذلك لمعرفة مدى أصالة هذه المحاولات التجديدية بارتباطها بأصلها وفهمها الحقيقي له ، ولمعرفة أثر المدنية والعصرية في بعض هذه المحاولات . وأما المبحث الخاتم لهذا الفصل فكان تحديداً للمصطلحات الشائعة في تاريخ التفسير مثل الاتجاه والمنهج، والتيار أو النزعة . . . وهكذا ينتهي الفصل الأول معفياً الدراسة من عيب طالما وقع فيه الدارسون في باب تحديد المصطلح وتأصيل القضايا .

أما الفصل الثاني « التفسير المصري الحديث عند الدارسين» فكان إطلالة تقويمية على ما سبق هذه الدراسة من دراسات ، تعرض في مبحثه الأول لموقف المستشرقين من هذا التفسير ، وقد تعرض لكتابة ثلاثة منهم هم : جولد تسيهر اليهودي المجري فيما جاء بكتابه : « مذاهب التفسير الإسلامي » خاصاً بالمدرسة المصرية ، و (ج جوميبه) الفرنسي في دراسته عن تفسيري المنار والجواهر ، و(ج بالجون) الانجليزي في دراسته عن التفسير القرآني في العصر الحديث . وقد كشف هذا المبحث عن زيف المنهج العلمي الذي غلف به هؤلاء المستشرقون أحكامهم ، وأوضح المبحث أن مفهوم التجديد التفسيري عندهم هو التعصير والتطوير بإبعاده عن أصله أو بهدمه من أساسه وعليه فلم يستحق ـ عندهم ـ لقب التجديد إلا محاولات الهدم والانحراف عن الحق ، أما ما سوى هذا من أصيل التجديد المرتبط بالكتاب والسنة فهو ـ في نظرهم ـ رجعية وسبب لتخلف المسلمين لارتباطه بالماضي .

كما كشف هذا المبحث تهافت دعاوى « جولد تسيهر » وتعسفه في إثبات

المذهبية للمجددين في تفسير القرآن الكريم ، وقد حرص البحث على توضيح ذلك حتى يعرف قدر هذا المنهج الاستشراقي الذي استقبل بحفاوة بالغة في الشرق ، بل وارتفعت الصيحات بالدعوة الى محاكاته والنسج على منواله .

وقد أفرد المبحث الثاني من هذا الفصل لدراسات المسلمين للتفسير المصري ، فتعرض لسبعة اعمال من بيئات إسلامية متنوعة ، وقد وصل إلى أن مفهوم التجديد لم يكن واضحاً لديهم وضوحه عند المستشرقين ، الأمر الذي جعل الباحث يصف أعمالهم بالتجديد السلبي حيث تعمد إلى تنقية التفسير القديم مما يعلق به من خرافات وأفهام لا يقرها الإسلام في أصوله النقية .

●● أما الباب الثاني فقد خصص لدراسة التجديد وبذوره في مدرسة المنار* وقد جاء الفصل الأول في مبحثين : **أولهما** ، عن التجديد الديني الإسلامي وتحديد المفهوم الحقيقي له الذي ينأى به عن المفاهيم المغرضة أو الساذجة التي تقلل من قيمته وما ذلك إلا لرفع الحرج الديني من القول بالتجديد ، وقد اقتضى هذا من الباحث ذكراً لمحاولات التجديد الفكري والديني على طول تاريخ المسلمين ، والتي كانت جميعها مؤسسة على تجديد فهم النص الديني في ضوء عصور التجديد وظروفها .

أما المبحث الثاني فكان عن حقيقة التجديد التفسيري ، وجوانبه ، وكان رائد البحث هنا هو النظرة إلى الجهود والتطبيقات العملية للمفسرين ، لينتهي إلى أن حقيقة التجديد التفسيري إنما هي استلهام النص مضامينه التي تفي بحاجة البشرية في كل شؤونها وعلى المجدد المفسر ألا يحمل النص ثقافته وعلمه ورأيه ، بل يأخذ من النص ما يقضي به ولو كان على خلاف ما يرى هو ، وعليه فالتجديد التفسيري - كما رأى البحث - انما هو تجديد نظر المفسر نفسه إلى القرآن الكريم ، بمعنى أن عقل المفسر ونظره هما اللذان تطورا ، من كثرة البحث والممارسة العلمية وقد رأى الباحث أن عناصر التجديد تأتي موزعة على جانبين هما :

أ ـ الجانب الفكري وسماه « الاتجاهات التفسيرية »

ب ـ الجانب الشكلي الذي احتوى هذه الاتجاهات وبرزت من خلاله قضاياها وأفكارها وسماه « المناهج التفسيرية » على أن أبرز ما يميز هذا المبحث هو اهتمام الباحث بتسويغ وجود اتجاهات كالاتجاه الهدائي ، والعلمي ، والأدبي ، إذ كل يمثل نظرة من خلالها عالج المفسر كيفية التوفيق بين المحتوى القرآني وواقع المسلمين ، وفي كل الحالات كان القرآن خصباً ثرياً يعطي الكلمة الفاصلة في السياق المحدد فيعيد نظر المسلمين إلى ثرائه وجدته التي لا تخلق على كثرة الرد . ولا ينسى الباحث أن يتعرض لجو المعارضة ضد بعض صور التجديد ، محتكماً في هذا الموقف إلى ان المفسرين القدامئ في تعريفاتهم لم يضعوا شكلا محدداً للتفسير ، لا بد على المفسر أن يلتزمه ، ولهذا فإن الباحث يرتضي كل نشاط فكري في باب محاولة فهم النص القرآني ، سلك المنهج التقليدي أم نهج غيره من المناهج .

● ويجيء المبحث الثالث من هذا الفصل مركزاً نظرته على أسس التجديد التفسيري مرجعاً بعضها الى طبيعة النص القرآني ، وبعضها إلى طبيعة الدين الإسلامي ، وقواعده العامة ، وأحياناً يرجع بعضها إلى واقع المسلمين وحاضرهم **أما ما يرجع إلى النص القرآني** فذلك كاحتواء مدلوله على حقائق فكر القرون المواكبة ، فضلاً عن السابقة لنزوله ، مع مسايرته في خطاب العرب لأحوالهم وأساليب حياتهم ، فهو قرآن واحد يجد فيه كل عقل طلبته ، وتاريخ التفسير ليس إلا تطبيقاً مؤكداً لهذه الفكرة .

وأما ما يتصل بطبيعة الدين الاسلامي وظروف أهله الحاضرة فقد لمس البحث قضية ما أصاب المسلمين من جمود ، وما جد على حياتهم من غزو فكري ، اقتضى العودة الجادة إلى القرآن في ضوء كل هذه الملابسات ، وفيها ما يحفز على الاجتهاد ويدعو إلى التجديد الذي يستهدف الملاءمة بين تعاليم الإسلام وأهداف الحياة المتجددة .

● أما الفصل الثاني من هذا الباب (الثاني) فيلتقط بذور التجديد التي طرحت في تفسير مدرسة المنار بصفة عامة ، ويصف هذه المدرسة ، بأنها كانت حقلاً خصيباً في أرض التفسير القرآني ضم صفوفاً من البذور التي شكلت البداوات الأولى لما أصبح بَعْدُ اتجاهات فكرية و مناهج شكلية في التفسير المصري المعاصر ، على أن الباحث يحمل مدرسة المنار مسؤولية بذور كانت فاسدة ووجدت من يرعاها لتخلق فيما بعد أشياء هي أبعد ما تكون عن التفسير القرآني ، وهكذا يصل التشيع لمسيرة هذه البذور الى تبين ماذا كان في حقل التفسير القرآني .

وبهذا الفصل ينتهي من الدراسة بابان كان الأول تمهيداً وتحديداً وجاء الثاني مغطياً قضية التجديد في عمومها من خلال مدرسة المنار ، تلك التي ـ كما يرى الباحث ـ أنجبت من الجديد جانبيه الفكري والشكلي ، ولم يبق الآن سوى أن يقف مع هذه الاتجاهات والقضايا التي أثارتها .

●● أما الباب الثالث فهو آخر أبواب هذه الدراسة ، وقد خصص لاتجاهات التجديد في التفسير ، والقضايا التي شغل بها كل اتجاه ، وما دخل هذا الاتجاه أو ذاك من مناهج جديدة . وقد جاء هذا الباب في ثلاثة فصول اختص الأول منه بالاتجاه الهدائي ، وقبل ان يبدأ في مبحثي هذا الفصل مهد بحديث عن الهداية القرآنية وموقعها عند المفسرين عامة ، ثم التأسيس النظري لهذا الاتجاه الذي ركز على أهمية الهداية كأساس للمعنى القرآني . وعلى أن يُعْدَ المفسرين والمسلمين عن هذا ضرهم وجنوا ثمار هذا البعد تخلفاً واضطرابا . . . ثم يكون المبحث الأول من هذا الفصل مبرزاً لعدد من القضايا العصرية التي شغلت الأمة ، وشكلت بوجه ما تحدياً للفكرة الإسلامية فكانت وقفته الطويلة أمام القضايا التالية :

أ ـ الاجتهاد الإسلامي وحرية الفكر ونقض التقليد ، باعتبار كل هذا ـ في نظر المفسر ـ المدخل الطبيعي والحقيقي لباب التجديد .

ب ـ قضية السياسة والوطن وما يتصل بهما من مسائل كنظام الحكم ، والوحدة الإسلامية وعلاقتها بالوحدتين الوطنية والقومية .

ج ـ قضية العلم والحرية نظراً لاهتمام المفسرين بها استدلالا على عطاء القرآن في هذا الجانب .

د ـ قضية الاقتصاد الإسلامي في أصلين هامين لها وهما حق الملكية والزكاة وقد كشف جهد المفسر في هذا المجال عن مميزات سياسة المال في نظر الإسلام حفاظاً على التوازن الواجب بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة إلى الحد الذي يصل مرتبة الإعجاز .

وكان المبحث الثاني من هذا الفصل إطلالة محللة على أهم محاولات الاتجاه الهدائي فتعرض لتفسير القرآن الكريم لشلتوت في المنهج التقليدي الموضوعي ، ودستور الأخلاق في القرآن الكريم لدراز ، والمرأة في القرآن الكريم للعقاد في المنهج الموضوعي وفي منهج المقال التفسيري تعرض لبعض مقالات فريد وجدي في مقدمة تفسيره والعقاد في « الفلسفة القرآنية » وغيرهما .

● وقد خصص الفصل الثاني للاتجاه الأدبي في التفسير ، فعنى مبحثه الأول ببعض القضايا التي استفرغت جهد أصحاب هذا الاتجاه في مرحلة الدعوة له والتأسيس ، حيث غلب عليهم أن القرآن نص أدبي قبل أن يكون أثراً دينيا ، وعموماً فقد دار المبحث حول :

أ ـ الدعوة إلى الاتجاه الأدبي ومنهجه الموضوعي . يعرض لها عرضاً ونقداً وبياناً لما وقعت فيه من تناقض في بعض مواقفها .

ب : قضية الإعجاز القرآني والكشف عن وجوه للإعجاز تلائم تحدي القرآن للانسانية في العصر الحديث ، وذلك لأن المفسر يرى أن صلة التركيب بنفسية المخاطب أمر يستوي فيه العربي وغيره وهذا إعجاز وإعجاز .

ج ـ علاقة الإعجاز القرآني والاتجاه الأدبي بالتفسير النفسي والدعوة إليه إذ الأمر في النص القرآني ـ في نظر المفسر الأدبي ـ يدار على سياسة النفوس البشرية ورياضتها بما يؤيد حجته ويظهر دعوته .

ويتعرض المبحث الثاني لمحاولات هذا الاتجاه فيشير إلى كثير منها على اختلاف مناهجه ، وقد حلل من المنهج التقليدي « في ظلال القرآن » لسيد قطب ، فكشف عن قواعد منهجية جزئية ، داخل منهجه التقليدي العام ، كما كشف عن ازدواجية الاتجاه عنده ، وحدد ما اختص به من نزعة فنية ذوقية أو انطباعية ذاتية شكلت الشعور الخاص بوقع النص على المفسر . كما تعرض لمحاولة بنت الشاطىء « التفسير البياني » بالتحليل والتقويم الذي أظهر أن فخر بنت الشاطىء بهذا العمل أمر يحتاج إلى نظر ، كما تعرض لمقالين في منهج المقال التفسيري ـ لهذا الاتجاه ـ هما أسرار النظم والاعجاز القرآني للرافعي ، والشرك في القرآن الكريم لمحمد كامل حسين .

● وعلى نفس المنهج أفرد الفصل الثالث للاتجاه العلمي قضاياه ومحاولاته ، واقتضى هذا أن يمهد بحديث عن موضوع الدين والعلم ومدى اتصالهما ليقرر صلة حقيقية بينهما ، وأن التعارض لا يكون بين دين وعلم وإنما هو بين دين وجهل أخذ سمة العلم ، أو بين علم ولغو لبس ثوب الدين .

بعد هذا التمهيد الضروري يشغل المبحث الأول بقضايا الاتجاه ومنها :

أ ـ تفسير القرآن بالعلم والعلم بالقرآن ، والتقاء الحقيقتين العلمية والقرآنية ، وقد ركز المفسر العلمي على أن القرآن ذو رسالة علمية ، وأن قضية العلم هي أظهر قضايا القرآن بسطاً واهتماما ، بل إن المفسر العلمي يرى أن تجاهل الحقائق العلمية التي لا تتعارض مع القرآن قد يوسع الفجوة بين الفكر الإسلامي التراثي وبين الفكر العلمي الحديث ، ولأن القضية شائكة فقد أورد البحث آراء المفكرين للتفسير العلمي وحجج كل منهم ، ثم أورد الردود عليها ليتضح الموقف على نقائه .

ب ـ قواعد التفسير العلمي وضوابطه كما وردت عند رأس من رؤوس هذا الاتجاه وهي قواعد لها إلزامها فوق القواعد العامة للتفسير ، ومن عمومها تكشف عن أصالة هذا الاتجاه وقوة حججه .

ج ـ وكان طبيعياً أن يولي المفسر العلمي قضية الإعجاز القرآني من وجهها العلمي اهتماماً خاصاً ، وهو الوجه الذي لا يحتاج تفهمه إلى لغة أو أدب بل ويزكي هذا الاهتمام سماع الناس لكلمة العلم وحكمه .

●ويتعرض المبحث الثاني لأهم محاولات هذا الاتجاه بالعرض والتحليل فيتعرض في المنهج التقليدي لتفسير « الجواهر » . وينصف صاحبه من حملات ظالمة له حيث اتهم بأنه يخدر الأمة ويلهيها عن الطريق الحقيقي للتقدم ، ولعل خير رد على هذه التهم ما أثاره الاستعمار حول هذا التفسير حيث رأوا فيه خطراً وإيقاظا . وقد وفق صاحب الجواهر حيث فصل بين تفسير النص القرآني وبين سائر البحوث العلمية في تفسيره إيماناً منه بأن القرآن أعظم وأرفع من أي مذهب علمي بشري كما تعرض في المنهج الموضوعي لموضوع « الجبال والقيامة في القرآن الكريم » لمحمد الغمراوي وهو موضوع في التفسير يقترب كثيراً من شكل التفسير الموضوعي المكتمل للشروط . ثم يختم المبحث بحديث عن مقال « سكينة النفس » لعبد الرزاق نوفل ، وهو يتعرض لما أشارت إليه آيات كثيرة من أثر السكينة في نفوس المؤمنين ، وما قرره العلم من ذلك حديثا .

وبعد هذه الرحلة الشاقة في مسارب هذا البحث لا بد من نظرة لقارئ ، وفيها يتضح أن هذا العمل جهد مشكور في بابه وموفق في موضوعه إلى حد كبير ، وهو يصور دأب الباحث وجلده وتماسكه أمام هذه التفريعات والتشقيقات التي ترهق القارئ فضلاً عن صاحب الكلمة والرأي فيها ، وكل هذا حق علينا لصاحب الدراسة ، غير أنه بتعدد تقسيماته المنهجية (الباب ـ الفصل ـ المبحث ـ تمهيد للمبحث) يكلف القارىء كثيراً من العناء ، ولست أدري ما الدافع الحقيقي وراء هذا خاصة التمهيدات التي تسبق المباحث مع اعترافي بأهميتها أحيانا . والباب الثاني خاصة يؤكد كيف أنه من الصعب التفريق بين فصليه من جهة ، وبين مباحث الأول والفصل الثاني من جهة أخرى . ووقوفه أمام محاولات الاتجاهات بالتحليل والنقد أمر يحمد له ، غير انه في بعض الأحيان اظهر تعاطفه الشديد مع بعض المحاولات خاصة في

باب الاتجاه العلمي ، دون أن يظهر بوضوح ان هذا رأيه وما يميل إليه .

وليته تخفف أيضاً من بعض الأحكام وحدتها على ما سبقه من دراسات في هذا الموضوع ، ليسلم له منهجه الهادئ الدقيق ، خاصة وانه سيكون رافداً لباحثين يأتون بعده ويتتلمذون عليه .

وبعد . . فحق العلم والجهد المبذول من أجله علينا أن نسأل الله للباحث توفيقا ، وأن ندعو قراء الفكر الإسلامي إلى الاجتهاد والمثابرة ، وليجز الله عن الخير خيرا ، والله الموفق والهادي سواء السبيل .

مؤتمر المصرف الإسلامي
بنك دبي الإسلامي
٢٣/٢٥ جمادى الثانية ١٣٩٩
٢٠/٢٣ مايو ١٩٧٩

بحث تطوير وسائل التمويل المصرفي في البنوك اللاربوية
توصيات اللجنة المحاسبية

أعضاء اللجنة :

الدكتور أحمد حلمي الخطيب

« مقرر اللجنة »
رئيس قسم المحاسبة والادارة
جامعة الامارات العربية المتحدة

الدكتور جمال الدين عطية

رئيس المصرف الاسلامي الدولي
«لوكسمبورج»
وعضو مجلس الادارة المفوض

الاستاذ محمد بدوي

محاسب قانوني
ص . ب ١١٤٢ دبي

الاستاذ سمير علبه

محاسب قانوني
ص . ب ١١٣٢ دبي

الاستاذ جلال عثمان

محلل مالي

البنك الاسلامي الدولي للتنمية

جدة

الاستاذ أحمد خميس

رئيس الحسابات

بنك دبي الاسلامي ـ دبي

التوصيات والمقترحات

رأت اللجنة مناقشة مجموعة من الموضوعات ذات العلاقة بالتطبيق المصرفي الاسلامي ، وتطوير وسائل التمويل في البنوك اللاربوية ، وقد رأت اللجنة أن تعرض توصياتها وفقاً للتبويب التالي :

أولاً : أهداف المصرف الاسلامي

ثانياً : سياسات ووسائل تحقيق الاهداف

ثالثاً : مشكلات التطبيق .

أولاً : الأهداف :

ترى اللجنة أن أهداف البنك الاسلامي يجب أن تتحدد في الإطار الآتي :

- تحقيق الربح الحلال .
- توفير السيولة المطمئنة .
- خدمة مجتمع الاسلام .

وسيتبع ذلك ضرورة البحث المستمر لتحقيق التوازن بين تلك الاهداف الثلاثة .

ثانياً : السياسات :

١ ـ توصي اللجنة بأن تقوم البنوك الاسلامية بإصدار شهادات ودائع طويلة

الأجل وقابلة للتداول بين البنوك الاسلامية من جهة وبينها وبين الأفراد من جهة أخرى ، بحيث تصبح تلك الشهادات أسلوباً للموازنة بين مجالات الاستثمار المختلفة التي تمارسها البنوك الاسلامية وكذا لتحقيق الموازنة بين كل من هدفي الربح الحلال والسيولة المطمئنة .

٢ ـ توصي اللجنة بتحديد أوجه ونسب الاستخدامات التالية لمصادر أموال البنوك المتاحة :

أ ـ حق الملكية : يستخدم بنسبة ١٠٠٪ لتمويل أصول البنك والاستثمارات طويلة الأجل .

ب ـ الودائع لأكثر من سنة : وتستخدم بنسبة ٨٠٪ في تمويل الاستثمارات طويلة ومتوسطة الأجل .

ج ـ الودائع قصيرة الأجل والتوفير : وتستخدم بنسبة ٨٠٪ في تمويل الاستثمارات متوسطة الأجل .

د ـ الحسابات الجارية : وتستخدم بنسبة ٦٠٪ في العمليات المصرفية .
ويراعى ان تكون هذه الحدود مرنة بحيث يمكن اعتبارها حدوداً قصوى

٣ ـ توصي اللجنة بأن يتم انتقاء مجالات استثمار مصادر الأموال المتاحة للبنك بحيث يتم التأكد من سلامة وصحة هذه الاستثمارات من الناحية الشرعية وبحيث تتفق وأحكام الشريعة الاسلامية وخاصة بالنسبة للأسهم والسندات التي قد يشتريها البنك في شركات أخرى ذات أنشطة مختلفة ، ويراعى أن يقتصر المساهمة على المشروعات ذات الطابع الإسلامي الواضح والتي لا تشوبها شائبة من حيث أهدافها الاسلامية التي تقرها الشريعة .

٤ ـ توصي اللجنة بضرورة البدء في وضع نظام محاسبي موحد للبنوك الاسلامية بحيث يمكن توحيد كل من :

أ ـ المصطلحات والمفاهيم والقواعد المحاسبية السائدة .

ب ـ تطوير تلك القواعد المحاسبية بما يتلاءم مع أهـداف ونشـاط البنـك الاسلامي .

ج ـ توحيد الدليل المحاسبي .

د ـ توحيد أساليب ومحتويات القوائم الختامية المنشورة .

هـ ـ إقرار وتثبيت بعض مؤ شرات قياس الكفاءة لأعمال البنوك الاسلامية ومدى تحقيقها للأهداف .

و ـ وضع سياسة مالية واستثمارية شاملة للبنوك الاسلامية تلتزم بها وتتحدد وفقاً لها أساليب تحقيق الأهـداف .

وقد أبدى الأعضاء المقيمون في دولة الامارات العربية استعدادهم لتكوين لجنة دائمة لتحقيق هذا الغرض في ضوء دراسة وتحليل العمليات الحالية التي يقوم بها بنك دبي الاسلامي ومشكلات التـطبيق العملي وعلى ضوء البيانـات والزيارات الميدانية للبنوك الاسلامية الأخرى . مع تبادل وجهـات النظـر مع المسؤولـين عن تلك البنوك للوصول إلى صيغة عمل موحدة .

٥ ـ توصي اللجنة بضرورة قيام بنك مركزي إسلامي لتنسيق أعمال البنوك الاسلامية وسياساتهـا والقيام بأعمال الموازنـة المالية بـين هذه البنـوك وإعـداد الكوادر المصرفية المؤ هلة .

ثالثـاً: مشكلات التـطبيق :

١ ـ توصي اللجنة بأن يرفع من النظام الأساسي لبنك دبي الاسلامي المادة ٥٦ التي تنص على مساواة المودعين والمساهمين في توزيع أرباح البنك حيث أن المساهم لا بد وأن يزيد نصيبه في الربح الموزع نظراً لزيادة حجم المخاطرة التي يتعرض لها ولتميزه بعنصر الاستمرار في المشاركة وتمكين البنك من تأدية خدماته لمجتمع الاسلام ، وباعتبـار أنه يمكن أيضـاً توظيف أموال المساهـم في أنشطـة البنك بنسبة تزيد عن النسبة المستخدمة من أموال المودعين ، وكذا لاختلاف

المركز القانوني للمساهم عن المودع .

٢ ـ ترى اللجنة ضرورة دراسة مسألة تحديد نصيب كل من المودع والمساهم على أساس نسب من الأرباح المحققة فعلاً وليس على أساس نسب ثابتة يحددها مجلس الادارة في نهاية كل عام ، وذلك أولاً تطبيقاً لمبدأ العلانية والافصاح في المحاسبة ، وتفادياً للجهالة المفسدة للعقد وثانياً لتشجيع المودعين على المشاركة بأموالهم في البنك ، وتعتبر التوزيعات على المودعين عبئاً على الربح قبل الوصول إلى صافي الربح القابل للتوزيع .

٣ ـ وتقترح اللجنة أن يراعى في تحديد نسب توزيع الأرباح على مختلف الفئات المشاركة ، نسب استخدام الموارد التي يقوم البنك بتحديدها وفقاً لنوعية وفترة الاستثمار لكل مورد منها .

٤ ـ حيث أن البنك يتولى القيام بخدمات لمجتمع الاسلام يتحمل مقابلها أعباء وتكاليف قد يصعب تقييم بعضها ، وتنعكس هذه الأعباء في صورة عوائد اجتماعية ودينية غير مقومة أو يصعب تحديد آثارها بشكل مادي ، لذلك ترى اللجنة أن يفرد لهذه العوائد الاجتماعية تقرير خاص يلحق بالتقرير المالي السنوي ، بحيث تتضح معالم هذه العوائد وحجمها حتى تظهر المقارنة واضحة أولاً بين تكلفتها وقيمتها وثانياً بين البنك الاسلامي بنشاطه المتميز وبين البنوك الأخرى .

و وفقاً لذلك التقرير يمكن مستقبلا أن يتقدم البنك للجهات المسؤولة في الدولة التي يعمل بها للمطالبة بتقرير بعض الاعفاءات من القوانين والأحكام التي يخضع لها البنك وذلك بما يضمن تعويضه عن تكلفة هذه العوائد الاجتماعية التي لا تتحملها البنوك الأخرى .

٥ ـ ناقشت اللجنة ما جاء في البحث المقدم من الاستاذ محمد بدوي بشأن تطوير وسائل التمويل المصرفي في البنوك اللاربوية ، وقد أوصت بالقرارات الآتية :

ـ من الممكن ان تقوم البنوك الاسلامية بفتح حساب جاري مدين بطريق المشاركة في الأرباح ويطلق على هذه العملية تمويل رأس المال العامل ويكون

البنك بمثابة شريك تعدل نسبته المتفق عليها في الأرباح عن طريق اتباع طريقة النمر وذلك وفقاً للتفصيل الموضح في البحث .

ـ رأت اللجنة أنه قد يكون من العسير إعداد حسابات لنتائج أعمال المشروعات التي يشارك فيها البنك كل ثلاثة أشهر ، وقد وافق رئيس مجلس إدارة بنك دبي الاسلامي على قيام البنك بإعداد حسابات لنتائج أعمال البنك والمشروعات التابعة كل ستة أشهر ، على أنه بعد نجاح هذه المحاولة وبعد استخدام الكمبيوتر في البنك تجري محاولة إعداد حسابات لنتائج الأعمال كل ثلاثة أشهر .

ـ توصي اللجنة بأن يقتصر توزيع احتياطي موازنة الأرباح (في حالة وجوده) عند الحاجة إليه على المساهمين فقط دون المودعين ، إلا إذا رأى مجلس إدارة البنك توزيع جزء منه على المودعين ويكون ذلك بمثابة تبرع يعلن على المودعين وأصحاب المصلحة .

ـ يتعين أن يقوم البنك الاسلامي بالأعمال غير المصرفية عن طريق وحدات تابعة تزاول عملياتها بصفةمستقلة عن الأعمال المصرفية ، بما يضمن تفرغ جهاز البنك للأعمال المصرفية من ناحية ، واشرافه على هذه الوحدات من ناحية اخرى .

ويضمن وجود وحدات متخصصة تابعة للبنك توافر أجهزة يمكن أن يعهد إليها بدراسات الجدوى الاقتصادية للمشروعات التي ترغب في التعامل مع البنك .

هذا ويتقدم جميع أعضاء اللجنة بخالص شكرهم وتحياتهم وتقديرهم للدور والجهد الكبير الذي قامت به إدارة بنك دبي الاسلامي وعلى رأسها الحاج سعيد أحمد لوتاه رئيس مجلس الإدارة والذي أدى إلى نجاح تنظيم هذا المؤتمر .

نسأل الله الكريم أن يوفقنا جميعاً إلى ما فيه خدمة الاسلام والخير للمسلمين .

دليل القارئ إلى المجلات

أدب

فتحي رضوان

خصائص القصة القرآنية

القصة في القرآن موضوع هام تعرض لتفسيرات متعددة وأثار المغرضون حولها العديد من الشبهات.

والمقال عرض لخصائص القصة القرآنية من خلال ما يرويه القرآن الكريم من وقائع حياة سيدنا موسى عليه السلام .

منبر الإسلام عدد يناير سنة ١٩٧٧ صفحة ١٤ ـ ١٧

د . أحمد الحجي الكردي

أسرة

تنظيم الإسلام للعلاقات الإنسانية

المقال يلقي الضوء على طريقة تنظيم الإسلام للعلاقات الانسانية مفرداً بالتفصيل بعض الشيء علاقة الإنسان المسلم بأسرته باعتبارها الخلية الأولى والمجتمع الأصغر الذي يعيش فيه ويرتبط به .

الوعي العربي عدد يناير سنة ١٩٧٧ صفحة ٤١

إعلام

د . نزيه ضيف الأيوبي

المعوقات الداخلية للإعلام العربي الخارجي

الإعلام العربي محدود التأثير وهنا تكمن أزمته الحقيقية . . . وهي أزمة لا سبيل إلى إنكارها .

والمقال تحليل لهذه الأزمة وعرض لأسبابها وآثارها .

السياسة الدولية عدد يناير سنة ١٩٧٧ صفحة ٧٤

د . عبد الكريم غلاب

تاريخ — عروبة المغرب

ربما كان الحديث عن عروبة المغرب أمراً مستغرباً . . إذ لا يشك أحد في أن البلاد المغربية عربية فكرا وواقعاً .

ولكن الكاتب يؤكد على أمر طالما أنكره المؤرخون وهو أن بلاد المغرب تنتمي إلى بلاد العروبة عن طريق السلالة . . . والمقال يكشف هذا الجانب ويعرض لمساهمة المغرب العربي في التاريخ الإسلامي .

الدوحة عدد فبراير سنة ١٩٧٧ صفحة ٣٠

د . حسام الدين الخطيب

ترجمة — المترجمون العرب الأوائل ـ طرائقهم ومشكلاتهم

لقد أدى المترجمون العرب دوراً حيوياً في نقل الثقافة الأجنبية إلى العربية فكانت رافداً هاماً لما جاء من حضارات بعد ذلك .

والمقال عرض لجهود المترجمين الأوائل مع تحليل لأساليب الترجمة ومشكلاتها وطرائق المترجمين فيها .

الوعي العربي عدد يناير سنة ١٩٧٧ صفحة ٨

د . محمد طه الحاجري

تعريب — المغرب العربي وبعض عوامل تعريبه

من خلال رؤية واضحة يقدم المقال دراسة تاريخية وافية عن الأسس التي قام عليها تعريب المغرب العربي منذ الفتح الإسلامي مبيناً عوامل انتشار اللغة العربية في المغرب العربي ونتائجه .

الثقافة عدد يناير سنة ١٩٧٧ صفحة ٤

حضارة

د . مراد وهبه

المدنية العربية المعاصرة

هذا البحث ـ على حد قول كاتبه ـ محاولة لصياغة مشكلة وليس طرحاً لحلها ، والمشكلة هي تساؤل عن هوية المدنية العربية المعاصرة في مواجهة هوية المدنية الغربية .

ويغفل الكاتب ـ وهو يبحث الهوية المعاصرة للمدنية العربية ـ أهم جوانبها وهو الجانب الإسلامي .

مجلة الطليعة عدد يناير سنة **١٩٧٧** صفحة **١١٤**

حضارة

د . يحيى الجمل

معنى التقدم الحضاري

ما الذي نعنيه عندما نقول إن هذا الشعب متقدم أو إن ذلك الشعب متخلف أو بعبارة أخرى ما معنى التقدم وما معنى التخلف ؟ .

المقال محاولة جادة للإجابة على هذا السؤ ال الهام .

الدوحة عدد فبراير سنة **١٩٧٧** صفحة **٢٠**

حضارة

أحمد ابراهيم أحمد

جوانب العظمة في حضارتنا الإسلامية

حضارتنا الإسلامية هي بحق واجهة مضيئة لأعظم إبداعات الإنسان على مر العصور . والمقال عرض لأسس هذه الحضارة في أنظمتها المختلفة .

الثقافة العربية عدد يناير سنة **١٩٧٧** صفحة **٤٤**

د . خليل كمال الدين

تأليف — **الكتاب العربي المعاصر والثقافة الجماهيرية**

من وجهة نظر خاصة ـ يبحث كاتب المقال مشاكل ثقافتنا العربية الحديثة في محاولة لاستجلاء أبعاد أزمة الكتاب العربي المعاصر .

والبحث ـ كما يقول الكاتب ـ معرض للخطأ والصواب وحسبه أنه طرح موضوعاً حيوياً للمناقشة الحرة .

مجلة الثقافة العربية عدد كانون الثاني سنة ١٩٧٧ صفحة ٤٦ ـ ٦٠

د . عبد الحليم محمود الكناني

تعليم — **الجامعات بين الماضي والحاضر والمستقبل**

يرى كاتب المقال أن الدارسين لظهور المدارس الاسلامية الكبرى يجدون الأدلة الكافية على أن الجامعات لم تعرف قبل الاسلام وأنها غرسة نمت في ظلال المدنية العربية الاسلامية في العصور الوسطى .

ومن هذه الزاوية يقدم الكاتب دراسة خصبة تكشف دور الجامعة الاسلامية في حضارة الإنسان .

المجلة العربية عدد ٣ سنة ١٣٩٦ هـ صفحة ١٣٢

د . عبد العزيز كامل

سيرة — **نظرة الرسول إلى الكون**

كان الكون كله قريباً من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي رسالته وسيرته وكتاب الله الذي أنزل عليه ما يؤكد هذا المعنى .

والمقال عرض لزوايا هذه الرؤية .

العربي عدد مارس سنة ١٩٧٧ صفحة ١٤

د . محمد محمد المفتي

طب — **التشخيص الطبي عند ابن سينا**

أطباء المسلمين ومعهم الطب العربي خطوة كبيرة إلى الأمام في تاريخ الطب الإنساني ـ المنهج والممارسة ـ هكذا يعملنا الرازي وابن البيطار وابن سينا . والمقال دراسة جادة تكشف التقدم الرائع الذي بلغه التشخيص الطبي عند ابن سينا .

الثقافة العربية عدد فبراير سنة ١٩٧٧ صفحة ١١٨ ـ ١٢٥

عقيدة فرقة — المستشرق اليوجوسلافي محمد فوماكو

البكتاشية

كثيرة تلك الفرق التي تدرسها كتب المقارنة بين العقائد خاصة في التراث الاسلامي .

والبكتاشية جماعة انتسبوا للإسلام وأعفوا أنفسهم من كل التكاليف والعبادات . . . والمقال عرض لتاريخها وأسس مذهبها من خلال رقعة مكانية محددة هي ألبانيامهد هذه الفرقة .

العربي عدد مارس سنة ١٩٧٧ صفحة ٦٤ .

د . حسن الشرقاوي

علم نفس — **نحو علم نفس إسلامي**

خصائص النفس

« علم النفس الاسلامي » اتجاه جديد في الدراسات النفسية يستمد من القرآن الكريم ينابيع للصحة النفسية ويرى الكاتب ـ وهو باحث متخصص ـ أن الطب النفسي الإسلامي يستهدف إصلاح النفس ظاهراً وباطناً . . . والمقال دراسة في هذا الاتجاه .

الوعي العربي عدد يناير سنة ١٩٧٧ صفحة ٤٠

د . مصطفى الشكعة

المرأة — المرأة في الاسلام والحضارة المعاصرة

لعل ديناً من الأديان أو حضارة من الحضارات لم تهتم بالمرأة وتكرمها وترفع من شأنها كما فعل الاسلام حيالها عقيدة وحضارة وتشريعاً .

والمقال عرض لموقف كل من الاسلام والحضارات المعاصرة من المرأة مع المقارنة بينها .

المجلة العربية سنة ١٣٩٦ هـ صفحة ١٠٤

فقه — الشيخ محمد خاطر

أحوال شخصية — في حقوق الأولاد

تحتل أحكام الأسرة في الإسلام ومن بينها حقوق الأولاد مكاناً هاماً في الفقه الاسلامي ، والقانون الوضعي يستمد أحكامه من الشريعة مباشرة في مسائل الأحوال الشخصية .

والمقال عرض لأحكام ثبوت النسب وما يترتب عليه .

منبر الاسلام عدد يناير سنة ١٩٧٧ صفحة ٣٤

د . عبد العزيز الدسوقي

سياسة — الاسلام والصراع الطبقي

مصطلح الصراع الطبقي مصطلح حديث أفرزته التيارات السياسية والفكرية الحديثة وأصبح من أهم ألفاظ القاموس السياسي في عالمنا المعاصر .

والمقال رد على أولئك الذين يتحدثون عن صراع طبقي في الإسلام .

الثقافة عدد يناير سنة ١٩٧٧ صفحة ١

د . نادية سالم

استشراق

العرب في العقل الغربي

منذ بداية الاحتكاك العسكري والحضاري بين الشرق والغرب والعقل الغربي يسيء فهم العرب ويحاول تشويه حقائق الاسلام .

والمقال دراسة جادة تتناول بعض المؤلفات الغربية والعربية التي تعمل في هذا الاتجاه . . . محاولة تقويمها والرد على أباطيلها .

الموقف العربي عدد يناير سنة ١٩٧٧ صفحة ٦٥

د . محمد أحمد خلف الله

قضاء

قضية الظلم في الشريعة الإسلامية

من وجهة نظر خاصة يعالج كاتب المقال هذا الموضوع الهام مستخدماً في تحليله الممارسات التاريخية وبعض الأنظمة التي عرفها الحكم الإسلامي في هذا الاتجاه مثل ديوان القضاء وديوان المظالم .

الطليعة عدد فبراير سنة ١٩٧٧ صفحة ١١١

محمد الشوفاني

سياسة

العقل العربي في مواجهة الواقع العربي

حياة الإنسان العربي يشوبها الارتباك ، والارتباك حقيقة يتخذها كاتب المقال منطلقاً لدراسة دور العقل العربي المعاصر في مواجهة الواقع العربي بكل ما فيه .

الدوحة عدد فبراير سنة ١٩٧٧ صفحة ٤٤

أحمد بهاء الدين

سياسة — **العالم كله يعارض الوحدة العربية**

الوحدة العربية أخطر بكثير مما يظن البعض فهي ليست كلمات جميلة ولا هدفاً سهلاً ولكنها تحتاج إلى نضال وصبر وعمل ودهاء .

والمقال يعرض قضية الوحدة العربية من زاوية واحدة وهي معارضة العالم لها .

العربي عدد مارس سنة ١٩٧٧ صفحة ٦ ـ ١٣

د . فاروق أبو زيد

اجتهاد — **الشيخ محمد عبده وتجديد الفكر الإسلامي**

اختلفت الآراء حول الأستاذ الإمام بين الأنصار والخصوم ، وإن ظلت أهميته الفكرية فوق مستوى الجدل . . . والمقال دراسة ـ من وجهة نظر خاصة ـ تعالج بعض القضايا التي أثيرت حول الشيخ محمد عبده وتبرز جوانب التجديد في فكره الإسلامي .

الثقافة العربية عدد فبراير سنة ١٩٧٧ صفحة.٧٩

د . أحمد كمال أبو المجد

اجتهاد — **مواجهة مع عناصر الجمود في الفكر الإسلامي المعاصر**

الحوار قائم على أشده بين تيارات عديدة متداخلة أحياناً ومتناقضة أحياناً أخرى تتوزع فكر المسلمين ومشاعرهم وولاءهم .

والمقال دعوة إلى وقفة صدق بعيداً عن تبادل الاتهامات والتراشق بالكلمات .

العربي عدد مايو ١٩٧٧ صفحة ١٦ ـ ٢٢

قانون دستوري

د . محمد أحمد خلف الله

قضية الحرية في الشريعة

من وجهة نظر خاصة يرى كاتب المقال أن الدراسات الشرعية التي تناولت قضية الحرية بأقلام الفقهاء تدور كلها حول الحرية فيما يخص العبيد وليس فيما يخص الأحرار . . . ويمضي الكاتب من خلال هذه الفكرة ـ ولنا عليها تحفظ شديد في تحليل مفهوم الحرية في الشريعة الاسلامية .

الطليعة عدد يناير سنة ١٩٧٧ صفحة ١٠٣

قانون دستوري

د . محمد عمارة

مكان الإرادة الانسانية في فكر الإسلام السياسي

من وجهة نظر خاصة يقدم المقال دراسة جادة لمشكلة السلطة في النظم السياسية ، ودور الجماعة فيها ، ومكان الإرادة الإنسانية في فكر الإسلام السياسي . . . والموضوع هام يستحق المزيد من الدراسة .

العربي عدد مارس سنة ١٩٧٧ صفحة ٥١ .

فلسفة

د . زكي نجيب محمود

عصرنا من فلسفته

أهم المذاهب الفلسفية التي يتقاسمها عصرنا أربعة : الوجودية . . والمادية الجدلية . . . والبراجماتية . . . والتحليل . . . . والمحور الرئيسي لهذه الفلسفات هي النظرة الإنسانية التي تجعل الإنسان مبدأ أو غاية . . . وهي نظرة لا تتلاءم مع الفكر الإسلامي .

والمقال عرض لهذه المذاهب وإشارة إلى مدى اختلافها مع النظرة الإسلامية .

العربي عدد مايو سنة ١٩٧٧ صفحة ٣٧

فاروق بسيوني

فن — التصوير الإسلامي (مدارسه ، نشأته)

فن التصوير يحتاج إلى تأصيل الموقف الإسلامي منه وكاتب المقال يرى أن الإسلام لم يحرم التصوير من حيث كونه إبداعاً جمالياً ثم يعرض لمدارس فن التصوير الاسلامي من ناحيتي نشأتها وخصائصها .

الثقافة عدد يناير سنة ١٩٧٧ صفحة ١٢٦

د . سعاد ماهر

فن — تطور العمارة العربية بتطور وظائفها

لعل أبرز أنواع الفنون قربا من الجانب الروحي للعقيدة الإسلامية هو العمارة فقد حرص المسلمون على تطويعها لخدمة الدين .

والمقال دراسة لفن العمارة الإسلامية من خلال المساجد والمدارس .

الموقف العربي عدد يناير سنة ١٩٧٧ صفحة ٥٩

د . محمد سليم العوا

قانون جنائي — مبدأ الشرعية في القانون الجنائي المقارن

من القواعد الأساسية في القانون الجنائي المعاصر أنه لا جريمة ولا عقوبة بغير نص . . . وهذا هو مبدأ الشرعية . . والمقال دراسة لتاريخ هذا المبدأ وموقعه من الأنظمة القانونية المعاصرة ، ومكانه في النظام الجنائي الإسلامي وفي قوانين الدول العربية .

مجلة إدارة قضايا الحكومة عدد أكتوبر سنة ١٩٧٧ صفحة ٥ ـ ٧٨

أحمد بهاء الدين

قانون دستوري — الأخلاق والسياسة ومعركة حقوق الإنسان

الأخلاق أم السياسة ؟ سؤال لم يحسم منذ أقدم العصور . . . والمقال

دراسة عميقة للعلاقة بين السياسة والأخلاق مؤكداً أن الحقوق التي رأت النور يوماً مع مشرق الإسلام في هذه الأرض لا بد أن يعود لها بريقها من جديد مهما كانت الفلسفات والادعاءات .

العربي عدد مايو سنة ١٩٧٧ صفحة ٦ ـ ١٥

قانون دولي

محمد بللي القوني

السفارات في الجاهلية والإسلام

أهمية العمل الدبلوماسي اليوم وفي القديم لا تخفى على أحد وللدبلوماسية عند العرب قصة وتاريخ . . . . والمقال عرض لنظام السفارات في الجاهلية والإسلام . .

الإيمان والعلم عدد ١٦ سنة ١٩٧٧ صفحة ٥٩

قانون دولي

حق الانسان في آدميته

عن خطة اليونسكو المتوسطة المدى سنة ١٩٧٧ ـ ١٩٨٢

تعلن الجماعة الدولية في الوقت الحالي عن إرادتها تنفيذ حقوق الإنسان بأوسع معانيها ولكنها تجد نفسها في مفترق الطرق . . . ذلك أن حقوق الانسان تنتهك كل يوم .

والمقال عرض لخطة اليونسكو المتوسطة (١٩٧٧ ـ ١٩٨٢) في هذا الاتجاه .

رسالة اليونسكو عدد مايو سنة ١٩٧٧ صفحة ١٤

قانون مدني

المستشار أحمد بديع مصطفى

الملكية في الاقتصاد الإسلامي

الملكية في الإسلام ـ كما يرى كاتب المقال ـ أقرب إلى أن تكون حقاً وأداء في

ذات الوقت فهي حق لم يحرم الله على عباده اكتسابه من سبيل مشروع وأداء تتحتم على المالك بمنأسبتها واجبات قبل مجتمعه والمقال دراسة للملكية من هذا المفهوم .

منبر الإسلام عدد يناير سنة ١٩٧٧ صفحة ٥٢

د . عبد القوي عياد

تاريخ **في سبيل توحيد التقويم الهجري**

إن التأخير في الوصول إلى تقويم إسلامي موحد يرجع أساساً إلى الضعف العام الذي اعترى الأمة الإسلامية . . والمقال عرض لموضوع توحيد التقويم الهجري مع إبراز أهميته والسبل العلمية التي تساعد عليه
مجلة الإيمان والعلم عدد ١٦ سنة ١٩٧٧ صفحة ١٦ .

وحيد محمد عبد المجيد

الحركة الإسلامية **الاخوان المسلمون والوحدة الوطنية**

من موقف خاص ـ يعالج كاتب المقال موضوع الاخوان المسلمون والوحدة الوطنية ولا يرى الكاتب في حركة الاخوان إلاّ تياراً متعصباً ضاراً بالوحدة الوطنية وهي نظرة الماركسيين عموماً إلى الاخوان المسلمين .

الطليعة عدد يناير سنة ١٩٧٧ صفحة ١١٨

د . محمد عبد المنعم القيعي

لغة **الفرق بين متشابه الكلمات في الآيات**

هذا بحث جدير بالدراسة موضوعه القرآن ، يتوقف على معرفته فهم كثير من المعاني واستنباط الأحكام الملائمة ومعرفة شيء من أسرار التنزيل بالوقوف على دقة العبارة . . والمقال عرض موفق يكشف أهمية هذا الجانب من الدراسة في لغة القرآن الكريم .

منبر الإسلام عدد يناير سنة ١٩٧٧ صفحة ٢٣

عبد الرزاق البصير

لغة **لغتنا العربية وحاجات العصر**

لعلنا من أشد الأمم حاجة إلى العمل من أجل لغتنا فلا يزال في هذه الأمة من يعتقد أن لغتنا غير صالحة لاستيعاب ما يجدّ في حضارة هذا العصر والمقال يعرض المشكلة ويشير إلى بعض الحلول .

العربي عدد مايو سنة ١٩٧٧ صفحة ٦٢ .

وحيد محمد عبد المجيد

ماركسية **أزمة الماركسية بين الأيديولوجية والتطبيق**

يعاني الفكر الماركسي أزمة حقيقية في ظروف الثلث الأخير من القرن العشرين أزمة تناقض بين المقولات النظرية التي كان الماركسيون يعدونها من المسلّمات وبين الواقع السياسي . والمقال تحليل لهذه الأزمة

السياسة الدولية عدد يناير سنة ١٩٧٧ صفحة ٧٨

صدر حديثا



يحتوي الكتاب ثلاثة أبواب تقع في ثمانية وعشرين ومائتي صفحة من القطع الكبير

ويبحث الباب الأول في الدعوة وطرقها وما يقف في طريقها .

وينفي الباب الثاني البغي عن الدعاة ويشير إلى بعض البغاة .

ويختم الكتاب بالباب الثالث حيث يقدم المؤلف ثلاث وثائق تدين البغاة . ويتبعها بمقترحات وتوصيات من المؤتمر العالمي للدعوة والدعاة .

دار البحوث العلمية

فهارس

فهرس المسلم المعاصر
عن السنة الخامسة

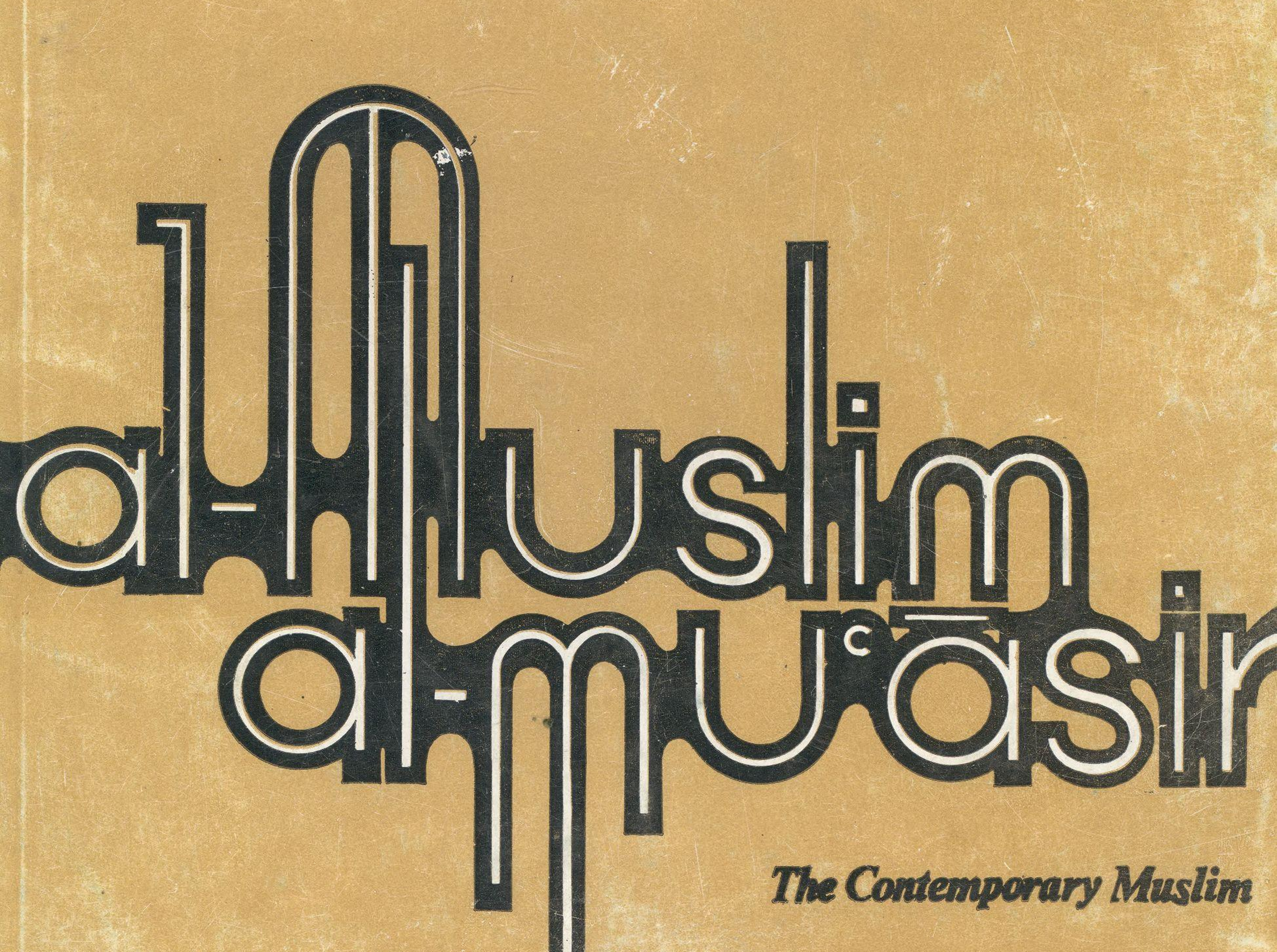
١ ـ الاجتماع

٢ ـ أصول الفقه والقانون

٣ ـ الاقتصاد

VOL. 5 No. 20 DHU AL QA'DAH — DHU AL HIJJAH — AL MOHARRAM

OCTOBER — NOVEMBER — DECEMBER



The Contemporary Muslim